الباب الأول

في كون المسيح عبدا من عبيد الله

بقوله وفتواه

ولندل على ذلك من كتبهم كما شرطنا في صدر الكتاب :

١ - قال متى الحواري في الفصل الثامن من إنجيله : (قال الله في نبوة أشعيا - يعني المسيح - : هذا [١] فتاي الذي اصطفيت وحبيبي الذي ارتاحت له نفسي أنا واضع روحي عليه ويدعو الأمم إلى الحق) [٢] .

قلت : سماه الله عبدا مصطفى على لسان أشعيا وابتعثه مأموراً بدعوة الأمم أسوة غيره من الأنبياء ، أورد ذلك متى في معرض الاستشهاد على أهل العناد [٣] حيث نسبه الفُجَّار إلى يوسف النجار [٤] ، فقد تضافر الإنجيل ومحكم التنزيل على عبودية عيسى وجعله داعياً للأمم كداود وموسى .

---

(١) في ش : قال المؤلف : نقل ابن ربن والطرطوشي وابن عوف قوله (هذا عبدي) فكشفت عنه الأناجيل فلم أجده بهذه الترجمة ، بل الذي وجدته في النسخ التي وقفت عليها كما وضعت ، غير أن الفتى هاهنا هو العبد أو الصاحب كما دللت عليه من التوراة والإنجيل ، والله أعلم .

(٢) متى ١٢/ ١٧ ، ١٨ .

(٣) أراد المؤلف (بأهل العناد) اليهود الذين رموا مريم البتول بالزنى مع يوسف النجار.

(٤) يوسف النجار: تزعم المصادر النصرانية ، أنه كان خطيب مريم العذراء على عادة اليهود في اتخاذ العشير - حيث يخطب الشاب الفتاة من أهلها ثم يتعاشران بدون اتصال زوجي مدة من الزمن فإذا رضي كل واحد منهما الآخر تم الزواج - وقد أراد يوسف هجر مريم سرا حينما ظهرت عليها آثار الحمل إلا أن الملاك ظهر له في المنام وأخبره بالحقيقة ، حينئذ قام يوسف برعايتها وابنها ولا يعرف عن يوسف بعد قيام المسيح بالدعوة الجهرية ، وأغلب الظن أنه مات قبل ذلك . (ر: إنجيلي متى ، لوقا الإصحاح (١ ، ٢) ، والكنز الجليل في تفسير الإنجيل ١/ ٧ ، قاموس ص ١١١٨ ، تاريخ المسيحية - حبيب سعيد ص ٣٢ ، ٣٣) . وقد انساق بعض المؤلفين المعاصرين إلى رواية هذه الخطبة المزعومة بين مريم ويوسف النجار ونسبة المسيح عليه السلام إلى يوسف النجار من غير التعليق أو الرد عليها ، بل ذكر بعضهم أن ما جاء في الأناجيل بشأن هذه القصة لا يخالف ما في القرآن وبأنه أمر مسكوت عنه فلا نصدقها ولا نكذبها ويصح إيرادها (ر: قصص الأنبياء ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، عبد الوهات النجار) .

فنقول : بأن القرآن الكريم والسنة الصحيحة لم يذكر فيهما شيء عن هذه الخطبة المزعومة ولم يثبت دليل لهذه العادة المذكورة ، كما أن خطبة مريم ليوسف النجار لو كانت معروفة ومشتهرة لما استهجن قومها فعلتها ، قال تعالى : ﴿**قالو يا مريم لقد جئت شيئا فريا * يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا**﴾ سورة مريم ٢٧ ، ٢٨ . وذلك مما يدل على كذب النصارى فيما يزعمونه من علاقة يوسف بمريم ، وأنه من الإسرائيليات التي لا نقبلها بل نكذبها . =:=

والفتى هو العبد والخادم لا الولد، والدليل عليه من التوراة في السفر الأول منها قول موسى (ولما بلغ إبراهيم / أن الملوك أغاروا على سد وم وسبوا لوطا ابن(١/ ١٠/أ) أخي إبراهيم عَبَّاً فتيانه وعدتهم ثلثمائة وثمانية عشر رجلا، وسار في طلب العدو واستنقذ لوطا وماشيته وجميع ماله)(١).

ومعلوم أن إبراهيم الخليل عليه السلام لم يكن له يومئذ هذه العدة من الأولاد فمن ادعى ذلك أكذبه أهل الكتابين، فقد شهد موسى عليه السلام أن الفتى هو العبد أو الخادم.

وقال موسى في السفر الرابع من التوراة ما هو أجلى من ذلك في قصة بلعام(٢) بن بعور وهو (أن بالاق بن صفوري (٣) الملك أرسل إلى بلعام ليلعن

==

(ر: نظرات في كتاب النبوة والأنبياء للصابوني ص ٧ - ١٠ د. محمد أبو رحيم، التحذير من مختصرات الصابوني، ص ١٨، ١٩، للشيخ بكر أبو زيد).

(١) تكوين ١٤/ ١٤، ، ١٥ وموضع الشاهد من النص كالآتي (فلما سمع ابرام أن أخاه سُبي جَرَّ غلمانه المتمرنين. . .).

(٢) بلعام بن بعور: تذكر المصادر الإسرائيلية بأنه كان نبيا مشهورا في قرية فيما بين النهرين وقد دعاه ملك مؤاب ليلعن بني إسرائيل ويدعو عليهم فرفض وبعدإلحاح رضي بذلك ولكنه كان يدعو لهم بدل أن يدعو عليهم، ومع ذلك فقد دبر وسيلة لايقاع بني إسرائيل في الإثم والشرك ليهلكوا، وعندما حارب بنو إسرائيل المديانيين قتلوا بلعام. (ر: سفر العدد الإصحاحات (٢٢، ٢٤، ٣١)، وقاموس ص ١٨٩).

وقد ذكر ابن كثير قصته في تفسير قوله تعالى ﴿**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين**. . الآيات﴾ الأعراف ١٧٥ - ١٧٧ . قال عن ابن إسحاق وغيره: بأن بلعام كان رجلا مجاب الدعوة وقد سأله قومه بأن يدعو على موسى وقومه. . . إلخ) وذكر قصة مشابهة لما في التوراة، ثم قال ابن كثير: وهذا الذي ذكره ابن اسحاق من قصة بلعام صحيح وقد ذكره غير واحد من علماء السلف. أ. هـ.

قلت: ولم يكن نبياكما يزعم أهل الكتاب والله أعلم. (ر: تفسير ابن كثير ١٢/ ٢٧٥ - ٢٧٨، وقصص الأنبياء، ص ٣٨٠، ٣٨١).

(٣) بالاق: اسم مؤابي معناه (المتلف أو المخرب) وهو ابن صفور، وكان ملك مؤاب (وهي أرض يقابلها اليوم القسم الشرقي من البحر الميت لمملكة الأردن اليوم (ر: سفر العدد إصحاح ٢٢، قاموس ص ١٦٠، ٩٢٧).

له بني إسرائيل ويدعو عليهم فأجابه بعد مفاوضات وسار إليه راكبا أتانه ومعه فتيان من مماليكه)[1] فقد شهدت التوراة أن الفتى هو العبد والمملوك لا كما تخرصه متأخرو النصارى في حمل هذه اللفظة على الولد.

والدليل على أن لفظ الفتى ليس موضوعا للولد قول الإنجيل (إن المسيح بعد قيامه وقبل رفعه مَرَّ على جماعة من تلاميذه وهم يصيدون السمك فقال: يا فتيان هل عندكم من طعام؟ فأطعموه جزءا من حوت وشيئا من شهد العسل)[2] فقد وضح أن لفظة الفتى ليس / فيها مستروح للنصارى فيما يرومونه من النبوة بل هي لا تستعمل إلا فيما قلناه، وقد قال ربنا جل اسمه ﴿**وإذ قال موسى لفتاه . . .**﴾[3] يعني خادمه يوشع[4]، وقال سبحانه ﴿**. . من فتياتكم المؤمنات . .**﴾[5] /١٠/ب

---

(١) سفر العدد ٢٢/ ٥ - ٢٢ في سياق طويل وقد اختصره المؤلف وموضع الشاهد من النص كالآتي: (. . . وهو راكب على أتانه وغلامه معه).

(٢) يوحنا ٢١/ ٤ - ١٣، لوقا ٢٤/ ٢٦ -٤٢ بألفاظ متقاربة، وقد ورد موضع الشاهد كالآتي (. . . فقال لهم يسوع: يا غلمان ألعل عندكم إداماً؟ . . . .

(٣) سورة الكهف: ٦٠.

(٤) يوشع بن نون عليه السلام: كان اسمه في الأصل (هوشع، يهوشوع) ثم دعاه موسى يوشع ومعناه (يهود خلاص) وهو خليفة موسى الذي قاد بني إسرائيل لدخول الأرض المقدسة ومحاربة لله أهلها، وأنه أمر الشمس بالوقوف والتأخير في المغيب ليتم له فتح الأرض والنصر على أعدائه.
وينسب إليه سفر باسمه عدد إصحاحاته (٢٤) إصحاحا، وكاتب هذا السفر مجهول وقد ينسب الى أشخاص متعددين. (ر: ترجمته في مصادر أهل الكتاب سفر يوشع، وقاموس ص ١٠٦٨، ١٠٧٠ بتخليص).
أما المصادر الإسلامية: فإن القرآن الكريم لم يصرح باسمه في قصة الخضر في الآية السابقة، وقد ورد النص على نبوته وأنه خليفة موسى في بني إسرائيل فيما ورد النص على نبوته وأنه خليفة موسى في بني إسرائيل فيما رواه الإمام مسلم ٣/ ١٣٦٦ وأحمد ٣/ ٣١٨ والبخاري مختصرا فتح ٩/ ٢٢٣ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولم يبن، ولا آخر قد بنى بنيانا ولم يرفع سقفها، ولا آخر قد بنى بنيانا ولم يرفع سقفها، ولا آخر قد اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر أولادها. قال: فغزا فدنا من القرية حين صلى العصر أو قريبا من ذلك، فقال للشمس: أنت مأمورة وأنا مأمور، =

وقال نبينا صلي اللـه عليه وسلم ﴿**لا يقل أحدكم عبـدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي**﴾(١)

فقوله تعالى في نبـوة أشعيا (هذا فتاي) مكذب للنصارى في دعـواهم ربوبية المسيح وألوهيته، إذ أضافه سبحانه إلى نفسه إضافة الملك. فقال جل من قائل (٢): هذا فتـاي وحبيبي أنا أفعل به كذا وكـذا، وهذا تصريح من متى الحواري بأن المسيح ليس هو اللـه وأن الله ليس هو المسيح وأن الله قـائل والمسيح مقول له، وأن الله مُعْطِي ومُنْعِم وأن المسيح مُعْطَى ومُنْعَم عليـه، وأنه فتى من فتيان بني آدم، وأن الله مالكه، وأنه عبد وإن الله سيده.

وقد روى النصـارى في الإصحاح السـابع والأربعين من إنجيل مارقـس (أنه بينا بطرس في الـدار ينظر الغابه إذ جاءت فتـاة من جواري رئيس الكهنة فنمت عليه ورأته [أخرى](٣) فذكرت مثل ذلك) (٤).

=

اللهم احبسها علي شيئا فحسبت عليه حتى فتح الله عليه . . . . . الحديث».

ويتبين لنا اسم هـذا النبي الذي حبست له الشمس من الحديث الـذي رواه الإمام أحمد ٢/ ٣٢٥ عن أبي هريرة قال: قال رسول اللـه صلى الله عليه وسلم: «إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس».

قال الإمام ابن كثير: انفـرد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط البخـاري. وصححه الشيخ الألباني (ر: الأحـاديث الصحيحـة ١/ ٣٤٧ - ٣٥١ ح ٢٠٢). (ر: سيرة هـذا النبي الكـريم في تفسير ابن كثير، ٣/ ٩٧ - ١٠١ قصص الأنبياء، ص ٣٧٧ - ٣٨٤).

(٥) سورة النساء: ٢٥.

(١) أخـرجـه البخـاري (ر: فتح ٥/ ١٧٧)، ومسلـم ٤/ ١٧٦٤، ١٧٦٥، وأبـو داود ٤/ ٢٩٤، وأحمد ٢/ ٤٢٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ما كان ينبغي للمؤلف أن يجزم بنسبة هذا النص وغيره من نصوص التوراة والأناجيل وغيرها إلى الله عز وجل أو إلى أحد الأنبياء، وإنما ينسبهـا إلى توراة اليهود وأناجيل النصـارى وما يتبعها من الكتب التي قد تقدم بيان عدم حجيتها وظنية ثبوتها.

(٣) في ص: (أخوي) والتصويب من النص.

(٤) مرقس ١٤/ ٦٦ - ٦٩، وقد ذكره المؤلف بالمعنى.

(١/١١/أ) فهذا تصريح منهم أن الفتى هو العبد / والفتاة هي الجارية، فكيف يحلمون ذلك على غير محمله وهذه التوراة والإنجيل تكذبهم وتخطئهم وتصرح بالرد عليهم.

وقد حكى لوقا أيضا في إنجيله (أن مريم عليها السلام لما رأت أم يوحنا قالت لها وهي تثني على الله: إن الله أنزل الأقوياء عن الكراسي ورفع المتواضعين وأشبع الجياع من الخيرات ورد الأغنياء صفرا وعضد إسرائيل فتاه)[1] يريد عبده، وعبودية إسرائيل متفق عليها، وذلك يهدم ما تعلقوا به من حمل الفتى على الولد، وفي ذلك رد على النصارى وتشويش لأمانتهم وإفساد لصلواتهم وتكذيب لمشائخ دينهم إذ يقرؤون في صلاة الساعة الأولى من صلواتهم (المسيح الإله الصالح الطويل الروح الكثير الرحمة الداعي الكل إلى الخلاص).

ويقرؤون في صلاة السَّحر (تعالوا بنا نسجد للمسيح إلهنا).

ويقرؤون في صلاة الساعة الثالثة (يا والدة الإله مريم العذراء افتحي لنا أبواب الرحمة). [2]

ويقرؤون في أمانتهم وتسبيحة دينهم (المسيح الإله الحق الذي بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء).

(١/١١/ب) وينقلون عن مشائخ دينهم وعلماء أهل ملتهم مثل أفريم[3] / وغيره قوله: إن اليدين التي جبلت طينة آدم هي التي سُمِّرت على الصليب، وأن

(١) لوقا ١ / ٥٢ - ٥٤.

(٢) سيأتي المزيد من التفصيل لهذه الصلوات.

(٣) أفرايم السرياني: من آباء الكنيسة الشرقية، ولد سنة ٣٠٦ م في نصيبين، وكان رئيس المدرسة الأسقفية في مدينته، له مؤلفات وقصائد تعليمية دينية، امتاز بمديح العذراء مريم، علم ومات الرها سنة ٣٧٣ م. (ر: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ٢/ ٣٩٨، ٩٩ تأليف لويس غردية، المنجد في الأعلام ص ٥٢، ٥٣).

الشبر التي مسحت السماوات هي التي سمرت على الخشبة، وأن من لا يقول إن مريم ولدت الله فهو بعيد عن ولاية الله).

وذلك كله باطل وزور وإفك وبهتان بقول متى حواري المسيح عن الله (هذا فتاي الذي اصطفيت)، أَهُمْ - وَيْلهُم - أعلم بالمسيح من تلميذه متى وسائر أصحابه الذين عاصروه وشاهدوه فليس فيهم من ينتحل هذا الهذيان الذي صار إليه المتأخرون من النصارى.

وإذا قال أشعيا النبي عليه السلام: إن المسيح مضاف إلى الله فقد عُلِمَ وعُرف أن ما سوى الله تعالى فهو عَبْدُه وخلقٌ من خلقه، وكون المسيح حبيباً من أحبابه وفتى من فتيانه لا يخرجه ذلك عن العبودية، وقد دللنا من التوراة والإنجيل على أن الفتى هو العبد والخادم فلا التفات بعد ذلك إلى جهلة النصارى.

٢- وقد صرح فولس فصيح النصارى ومفسرهم بأن المسيح عبد مخلوق فقال في الرسالة الثانية عشرة (انظروا إلى هذا الرسول رئيس أحبارنا يسوع المؤتمن عند من خلقه مثل موسى في / جميع أحواله غير أنه أفضل من موسى)[1] فأي بيان /١٢/ (١/ وأي تصريح أوضح من شهادة فولس بأن المسيح مخلوق وأنه مؤتمن عند خالقه تعالى!

٣- دليل آخر على عبودية المسيح من قوله وفعله قال متى: (جاء يسوع المسيح إلى يوحنا المعمداني من الأردن إلى الجليل ليتعمد على يده، فقال حين رآه: هذا الذي قلت إنه يجيء بعدي وهو أقوى مني وأنا لا أستحق أن [أحل معقد][2] خُفِّه ثم قال للمسيح: إني لمحتاج أن أتعمد منك، فقال يسوع: دع الآن هذا فإنه ينبغي لي أن أكمل كل البر فتولَّه. فتعمد المسيح)[3].

---

(١) الرسالة إلى العبرانيين ٣/ ١ - ٣ بألفاظ متقاربة.

(٢) في ص (أجلس مقعد) والصواب ما أثبته لموافقته سياق نص الأناجيل.

(٣) متى ٣/ ١١ - ١٦.

قلت: هـذا المسيح عليـه السـلام متقيـد بـالعبـادات، متطـوق عهـده التكاليف، ملتزم وظـائف الخدمة، قائم بما يجب ليوحنـا من الحُرْمَة، مساوٍ في تعمده وتعبده سائر الأمـة، فكيف تعتقد فيه الربوبية والألـوهية وهو يتعمد[1] من عبد من عبيده ليكمل بِرَّه؟! وهـل يفتقر إلى التكميل إلا ناقص ويدعى إلى فعل الجميل إلا من هو عنه ناكص؟!

والتكليف عبـارة عن التزام مـا فيه كلفـة، ورُتْبَـة المُوجِب فوق رتبـة الموجَب عليـه، فـالتـزام المسيح وظائف العبـادة دليل على / عبـوديتـه وقـد صرح يحيى المعمداني بعبودية المسيح قولا وفعلا. ١٢/ب)

أمـا تصريحه قولاً فإذ يقـول: إن المسيح أقـوى منه, والتفضيل إنما يكـون بين فاضلين رجح أحدهما على الآخر، ولا يحسن التفضيل بين الإله والآدمي. وأما تصريحه فعلا فتعميـده للمسيح أسوة أمثالـه من الناس، وكيف يحسن من نبي الله يحيى بن زكريا أن يجهل ربه فـلا يعرفه حق معرفته فيعاملـه معاملة المخلوقين والعبيد المربوبين؟! وإن كـان قد عرفه فهلا نصح لعباده، وأرشـدهم الى معرفة بارئهم، وقام خطيبـا في الناس حين رأى المسيح وقال: اعلموا أن اللـه تعالى قد رحمكم وتجشم لخلاصكم وجـاء إليكم لينقـذكم من الخطيـة ويفـديكم من أعدائكم وهاهـو هذا الذي جاء ليتعمد مني، كما يعتقده النصـارى يومنا هذا. وحاشى ابن زكريا عن أمثال هذه الترهات.

فإن قيل: إنما تعَّمـد وتعَّبد ليعلم النـاس العبادة إذ ليس المتـابعة في الأقـوال مثل المتابعة في الأفعال.

فنقول: أو لم يكن الناس يعرفون العبادة قبل مجيء المسيح/ فما زادهم على أن قـال: تعلمـوا العبادة يـا من هم بها عـالمون، فصـار ذلك كمن يقـول لحاسب ١٣/أ)

(١) سيأتي تعريف التعميد ونوعه.

ماهر: اعلم أن خمسة وخمسة عشرة سواء. ثم هذا السؤال ينزل منزلة من يدعي أنه إنما جاء ليعلم الناس الأمور الناسوتية من الأكل والشرب والنوم وأمثاله وذلك لا يقوله لبيب، فتعمده وتعبده عليه السلام دليل ظاهر على عبوديته، فمن عذيري من قوم دُفعنا معهم إلى أن يستدل على أن الله القديم الأزلي ليس بآدمي يأكل ويشرب ويجيء ويذهب ويستريح ويتعب.

فإن قيل: فقد قال متَّى في تمام هذا الكلام (إن يسوع لما تعمد وخرج من الماء انفتحت له أبواب السماء ونظر روح الله جاءت إليه في شبه حمامة وإذا صوت من السماء قائلا: هذا ابني الحبيب الذي به سُرَّت نفسي)[1] وذلك دليل على ما ينتحله النصارى من بنوته وألوهيته.

قلنا: أولا:

لا نسلم صحة هذا النقل لضعفه والدليل على ضعفه ووهاه أن صدور مثل هذه الآية العظيمة الآتية عند التعميد واجتماع الغَويّ والرشيد سبيلها أن تشتهر وتنتشر / بحيث ينقلها الجم الغفير والخلق الكثير، فلما لم ينقلها غير واحد[2] (١/ ١٣ تبينَّا بطلان ذلك وكذب ناقله، على أنَّا لو سلمنا ذلك فليس فيه مستروح

---

(١) متى ٣/ ١٦، ١٧.

(٢) قول المؤلف - رحمه الله - (فلما لم ينقلها غير واحد...) فيه نظر، فإن حادثة تعميد يوحنا المعمداني للمسيح عليهما السلام وفتح السماء ونزول الروح في شكل حمامة وسماع النداء من السماء لم ينفرد (متى) بنقله فقط، بل نقله أيضا (مرقس) في إنجيله ١/ ١٠، و(لوقا) في إنجيله ٣/ ٢١، و(يوحنا) في إنجيله ١/ ٢٢ مع وجود التناقض والاختلاف في روايات الأناجيل كالآتي:

- ورد في إنجيل متى إصحاح (٣) وإنجيل لوقا إصحاح (٣) بأن يوحنا كان يعرف المسيح قبل نزول الروح على المسيح.
- وخالفهما يوحنا الحواري في إنجيله إصحاح (١) فذكر: بأن يوحنا ما عرف المسيح إلا بعد نزول الروح على المسيح.
- ثم تناقض متى ولوقا مع ما ذكراه سابقا فذكر متى إصحاح (١١) ولوقا إصحاح (٧) بأن يوحنا ما عرف المسيح بعد نزول الروح أيضا، وإنما أرسل يوحنا إلى المسيح تلميذين من تلاميذه يسألانه عن حاله، وهذا ظاهر التناقض والفساد.

للنصارى فيما يرومونه ؛ لأن بفتح السماء وسماع النداء ونزول الروح الذي هو الملك كل ذلك من المعجزات الدالة على صحة النبوات ، ولا غرو أن يأتي المسيح بخارق قاطع لشغب اليهود نازل منزلة قول الله : صدق عبدي ، فأما الروح[١]فتارة يكون جبريل[٢] وتارة يكون مَلَكاً غيره يقوم يوم القيامة صفا وحده وسائر الملائكة صفا آخر [٣] وتارة يكون بمعنى الشيطان [٤] وتارة يكون عبارة عن العلم والحكمة[٥] وتارة يكون عبارة عن روح الآدمي [٦] وتارة يكون كناية عن سر الشيء ولبه[٧] وتارة يكون بمعنى الوحي فهذه عدة محامل .

والدليل على الأول : ﴿**نزل به الروح الأمين على قلبك** . . . ﴾(١) وفي الإنجيل (روح القدس تحل عليك)(٢) يقول لمريم .

والدليل على الثاني : ﴿**يوم يقوم الروح والملائكة صفًا**﴾(٣) .

والدليل على الثالث : قول الإنجيل (إن المسيح أبرأ الناس من الأرواح

---

(١) سورة الشعراء : ١٩٣ .

(٢) لوقا ١/ ٣٥ .

(٣) سورة النبأ آية (٣٨) قد اختلف المفسرون في المراد بالروح في الآية ما هو؟ على أقوال :

أحدها : رواه العوفي عن ابن عباس أنهم أرواح بني آدم .

الثاني : هم بنو آدم قاله الحسن وقتادة عن ابن عباس .

الثالث : أنهم خلق من خلق الله على صور بني آدم وليسوا ملائكة ولا بشر وهم يأكلون ويشربون قاله ابن عباس ومجاهد وأبو صالح والأعمشي .

الرابع : هو جبريل قاله الشعبي والصحاك ومقاتل .

الخامس : أنه القرآن قاله ابن زيد .

السادس : هو ملك عظيم من أعظم الملائكة خلقا ، قاله ابن عباس : ، وابن مسعود في تفسيره للروح ، ونقل ابن جرير لهما حديثين في ذلك ، وعلق عليهما ابن كثير بقوله : هذان حديثان غريبان جدا .

وقال ابن جرير بعد سرده الأقوال : والصواب من القول أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أن خلقه لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح ، والروح خلق من خلقه ، وجائز أن يكون بعض هذه الأشياء التي ذكرت والله أعلم ، أي ذلك هو ، ولا خبر بشيء من ذلك أنه المعني به دون غيره يجب التسليم له ، ولا حجة تدل عليه ، وغير ضائر الجهل به . أ . هـ .

(انظر تفسير الطبري ٣٠/ ٢٢ ، ٢٣ ، وتفسير ابن كثير ٤/ ٤٩٦ ، ٤٩٧) .

النجسة فخلصوا)[1].

(١/١٤/أ) والـدليل / على الرابع: قـول التوراة لموسى (يصنع لك قبـة الزمـان بصلئيل الذي ملأته روح الحكمة والعلم). [2]

والـدليل على الخامس: . . ﴿**ويسألـونـك عن الـروح قل الــروح من أمـر ربي**. .﴾ [3]

والدليل على السادس: قول القائل: هذا روح المسألة، أي سِرُّها ولُبُّهَا.

والدليل على السابع: ﴿. . **وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا**﴾[4]﴿**ينزل الملائكة بالروح من أمـره على من يشاء من عباده** . .﴾[5]، وقول المعمداني (إن روح الله نظـرها جـاءت إليه)، يـريد المَلَك الآتي في صـورة طائر واختصـاصه بالحمام، لأنـه ميمون غير متشـائم به، ونسبتهـا إلى الله نسبـة مِلْك كقولهم في التوراة (أن موسى رجل الله) [6]، و (العصا التي بيده قضيب الله) [7]، (وقبة الأمد التي بنيت في التيـه، خباء الله)[8]، و(أورشليم التي هي البيت المقدس بيت الله) [9]، فكذلك قول مَتَّـى (ونظر روح الله جاء إليه) يريد مَلَك الله.

والـدليل على مسـاواة المسيح غيره في هذه الـروح والتأييـد بها قـول لوقـا في إنجيلـه (قال يسـوع لتلاميـذه: إن أبـاكم السماوي يعطي روح القدس للـذين

---

(١) لوقا ٤/ ٣٦ وقد ذكر المؤلف النص بالمعنى.
(٢) خروج ٣١/ ١ - ٣.
٣) سورة الإسراء: ٨٥.
(٤) سورة الشورى: ٥٢.
(٥) سورة النحل: ٢.
(٦) تثنية ٣٣/ ١.
(٧) خروج ٤/ ٢٠.
(٨) أخبار الأيام الثاني ٣١/ ١٣، نحميا ١١/ ١١.
(٩) تكوين ٢٨/ ١٧، ٢٢.

يسألـونـه)[1] والـدليل عليـه من / التـوراة قـول اللـه لموسى (اختر سبعين من (١/ ١٤/ ب)
قـومك حتى أفيض عليهم مـن الـروح التي عليك، فيحملـوا عنك ثقل هـذا الشعب. ففعل موسى فأفاض عليهم من روحه فتنبؤا لساعتهم)[2].

وفي التوراة أيضـا في حق يوسف الصديق (يقـول الملك: هل رأيتم مثل هذا الفتى الذي روح الله حال فيه)[3].

والـدليل عليـه من نبـوة دانيـال: (أن روح اللـه حلت على دانيـال)[4] وفي التـوراة أيضا (أن مـوسى لما تـوفي امتلأ يـوشع خـادمه من روح القـدس؛ لأن موسى كان قد وضع يده على رأسه)[5].

فقد استـوت الحال بين المسيح وبين من ذكرنـا في تشريفه بهذه الـروح، وقد قـال اللـه في الكتاب العـزيـز في حق إخـواننـا من المسلمين ﴿**وأيَّـدهم بـروح منه**﴾[6] فما أجاب النصارى به عن حلول الـروح على هؤلاء فهو جواب لنا عن حلوله على من يَّدعونه.

فإن تجاهلـوا وقـالـوا: الـروح الآتي إلى من عـدا المسيـح هي الملك والعلم والحكمة، والروح الآتي إلى المسيح هي حياة الله.

(١/ ١٥/ أ) قلنا لهم: الويل لكم إن كان ما تقولـون فقد صار الباري ذاتا ميتة لا روح / فيها، وإذا كـان قد صار ذاتـا خالية من الحياة، فكيف يقـولون إنه قـال: هذا عبدي وهذا ابني؟! فقد آل ما تدعون إلى نفي ما تدَّعون.

---

(١) لوقا ١١/ ١٣.

(٢) عدد ١١/ ١٦ - ٢٥ في سياق طويل.

(٣) تكوين ٤١/ ٣٨.

(٤) لم أعثر في سفـر دانيال بـالنسخة الحالية على النص الـذي أورده المؤلف ولعل المؤلف يقصد حـزقيال فقد ورد في سفر حزقيال ٣/ ٢٣، ٢٤ (أن روح الله حلَّت فيه).

(٥) تثنية ٣٤/ ٩.

(٦) سورة المجادلة: ٢٢.

ثم نقول لهم: بم تنكرون على من يزعم أن الروح الآتي والنداء ليس هو لعيسى بل هي لأستاذه الذي عَمَّده وهو يحيى بن زكريا؟! لأنه بشهادة الإنجيل أفضل منه إذ هو الذي امتلأ من روح القدس وهو جنين في بطن أمه ثم نشأ سيدا وحصورا(١).

وقد قلتم في إنجيلكم: إن يوحنا هذا لا يأكل ولا يشرب ولا يتناول خمرا ولا مسكرا(٢) ولا يلبس سوى جلود الحيوان(٣) وأنه انتهض قبل المسيح إلى الدعاء إلى الله وعمد الخلق حتى عمَّد المسيح فيمن عمد.

فأما المسيح فلم تأته الروح - في قولكم - إلا بعد الثلاثين سنة من عمره على يد يوحنا، ولم يتصف بما اتصف به يوحنا شيخه واستاذه بل أكل الخبز واللحم وشرب الخمر في زعمكم وحضر الدعوات(٤) وتناول نفائس الطعام، وصبت عليه امرأة دهنا قيمته ثلاثمائة مثقال فلم ينكر عليها(٥)، كل ذلك يشهد به إنجيلكم.

وإذا كان / الأمر على ما وصفتم من حال الرجلين سلام الله عليهما فلا (١/ ١٥/ خفاء بكونه أفضل منه، وإذا ثبتت أفضلية يوحنا فمن أين لكم أن الروح الآتي والنداء المسموع لم يكن ليوحنا؟! فدلوا أنتم على أن ذلك كان للمسيح، ولن تجدوا إلى ذلك سبيلا.

---

(١) يقال ساد القوم يسودهم، ولما كان من شرط المتولي للجماعة أن يكون مهذب النفس قيل لكل من كان فاضلا في نفسه (سيد) وعلى ذلك قوله ﴿سيدا وحصورا﴾ آل عمران: ٣٩. أما الحصور فإنه الذي لا يأتي النساء إما من العنة وإما من العفة والاجتهاد في إزالة الشهوة، والثاني أظهر في الآية لأن بذلك يستحق المحمدة. (ر: المفردات - للراغب الأصفهاني ص ١٢٠، ٢٤٧).

(٢) لوقا ٧/ ٣٣.

(٣) مرقس ١/ ٦.

(٤) يوحنا الإصحاح الثاني.

(٥) متى ٢٦/ ٧ - ١٢، مرقس ١٤/ ٣ - ٨ ولم يرد فيهما ذكر قيمة الطيب.

ثم نقول لهم: أليس قد زعمتم أن الروح إنما جاءت في شبه حمامة فعرف شكلها وكميتها وقدرها وفرَّغت حيزاً وشغلت آخر وتنقلت في الجهات؟! وذلك صفة المخلوق الحادث ويتعالى عن ذلك القديم جل جلاله، ثم لفظ البنوَّة معارض بلفظ العبودية، فقد سماه الله عبده ولله واختار له ما عنده، وسوَّاه في العبودية بمن كان قبله ومن جاء بعده.

٤- دليل آخر على عبودية المسيح عليه السلام: قال متى (أخذ إبليس يسوع المسيح وأخرجه إلى البرية ليجربه وقال له: إن كنت أنت ابن الله فقل لهذه الحجارة أن تصير خبزا، فقال المسيح: إنه مكتوب أنه ليس بالخبز وحده يحيى الإنسان بل بكل كلمة تخرج من الله فأخذه إبليس ومضى به حتى أقامه على أعلى جبل في الأرض وأراه جميع ممالك العالم وقال:

(١/١٦/أ) هذا كله لي وأنا أعطيكه إن سجدت لي / سجدة واحدة، فقال: اغرب عني يا شيطان فإنه مكتوب للرب إلاهك أسجد وله وحده أعبد، فمضى به إبليس وأقامه على جناح الهيكل، وقال له: انطرح من هاهنا إلى أسفل، فإنه مكتوب أن يرسل بعض ملائكته فتحملك حتى لا تعثر رجل بحجر، فقال المسيح: ومكتوب أيضا لا تجرب الرب إلاهك، فمضى به إبليس وتركه وجاءت ملائكة تحرسه، وصام المسيح عند ثلك ثلاثين يوما بلياليها وجاع أخيرا)[1].

قلت: هذا متى الحوارى قد ذكر هذه القصة وهي شاهدة على المسيح بصريح العبودية وافتقار البشرية، وسلوك سنة المتعبدين وطريق المتبتلين من المجتهدين، ودأب الأولياء ومقدمات أمور الأنبياء، ينقطعون الى مولاهم في قنن[2] الجبال، ويفرغون البال بمواصلة الوصال، ألم يأتكم نبأ ابن عمران[3] إذ

(١) متى ٤/ ١ - ١١ بألفاظ متقاربة.

(٢) القُنة: أعلى الجبل، والجمع قنان وقنات (ر: مختار الصحاح ص ٥٥٣)

(٣) يقصد: النبي موسى ابن عمران عليه السلام وقد ورد ذلك في سفر الخروج ٣٤/ ٢٨.

طوى الأربعين لا يفطر وفعل من الخوارق بمصر وغيرها ما لا يجحد ولا ينكر.

ولقد أربت آياته في النقل الصحيح على آيات المسيح، واذا انتهينا إلى ما يليق بذلك أشبعنا القول فيها إن شاء الله والعجب كيف يجرب ابليس يسوع ويمتحنه ويسحبه معه من مكان الى مكان، / ويسومه السجود له وهو في زعم (١/١٦/ب) النصارى خالقه وخالق كل شيء؟، فنحن نسألهم عن هذا المتردد مع الشيطان من مكان إلى مكان، والمقهور في يده والشيطان طامع في استتباعه وصيرورته عبدا له، أهو إنسان مخلوق أو إله خالق أو إله اتحد بإنسان أو سكن في أهابه واتخذه محلاً له؟!

فإن قالوا: إنه إنسان مخلوق وافقوا شرعنا وخالفوا شريعتهم وأمانتهم إذ يقولون فيها (إن المسيح إله خالق غير مخلوق وأنه الذي أتقن العالم بيده).

وإن قالوا: إنه إله خالق أو إله اتحد بإنسان أو حل فيه وسكنه، فقد حكموا أن الإله الأزلي سحبه الشيطان، ورده وجرت عليه أحكامه، وطمع فيه أن يسجد له وفيه امتهان الرب القديم، والإله العظيم في يد الشيطان الرجيم.

وقد شهد متى أن المسيح قد جاع، والإنجيل يقول: (إن الله لا يأكل ولا يشرب ولا رآه أحد)[1]، وإذا ثبت بقول أصحاب المسيح أن المسيح قد جاع،

(١) لم أجد نص هذه العبارة في نسخة الأناجيل التي بين يدي، وقد ذكر هذا النص الحسن بن أيوب في كتابه الرد على النصارى والإمام القرافي في الأجوبة الفاخرة ص ١٤٩ والمهتدي نصر بن يحيى المتطبب في النصيحة الإيمانية ص ٢٤٨، وابن القيم في هداية الحيارى ص ٢٧٤ كالآتي: (إن الله تبارك وتعالى لم يلد ولم يولد ولم يأكل ولم يشرب ولم ينم ولم يره أحد من خلقه ولا رآه أحد إلا مات) وقد علق شيخ الإسلام في الجواب الصحيح ٢/ ٣٣٤ على النص بقوله: إن هذه العبارة مما ينازع فيه النصارى بأنه ليس موجودا في كتبهم ولا يعترفون به . اهـ.
قلت: إن معنى النص المذكور ذكر متفرقا في العهد القديم والجديد كالآتي:
- في إنجيل يوحنا ١/ ١٨ (الله لم يره أحد قط) وبنحوه ذكر في التوراة خروج ٣٣/ ٢٠ وفي رسالة يوحنا الأولى ٤/ ١٢ وفي الرسالة الأولة لتيموثاوس ٦/ ١٦
- في المزامير ١٢١/ ٤ (إنه لا ينعس ولا ينام حافظ إسرائيل). =

وتظافرت عليه الآلام والأوجاع فقد ثبت بذلك أنه عبد لله، إذ ثبت أن ما
/١٧/أ) سوى الله / فهو عبد له.

فإن قالوا: لا ننكر أن المسيح جاع وشبع واطمأن وجزع وناله النفع والضرر واعتورت عليه أحوال البشر، غير أن هذه النقائص إنما دخلت على ناسوته دون لاهوته (١).

قلنا لِمَ يَدَعُ الاتحاد الذي تدعونه ناسوتا متميزا عن لاهوت حتى يُخَصَّ بالعطش والجوع والأرق والهجوع؟! بل صار المسيح بالاتحاد الذي يدعيه أهل الإلحاد شيئا واحدا، والشيء الواحد لا يقال إنه جاع ولم يجع ومات ولم يمت. على القول أيضا بذلك مفسد للاتحاد الذي يدعونه؛ لأنه قد كان المسيح قبل الاتحاد يدركه عوارض الآدميين من الجوع والعطش والطمأنينة والدهش وغير ذلك، فإن كان بعد الاتحاد كَهُوَ (٢) قبل الاتحاد فلا معنى للاتحاد، فقد صار الاتحاد الذي يُدَّعى له مجرد تسمية ساذجة عن المعنى.

وإذا ثبت أن المسيح قد تناول الطعام وصلى وصام والتزم الأحكام فقد أربى في العبودية على سائر الأنام.

والعجب أن الشيطان لا يثبت مع وجود المَلَك، فكيف يطمع فيمن يعتقد
١٧/ب) ربوبيته حتى يسومه أن يجعله / من الأتباع [ويوظف](٣)

=

- في أشعيا ٤٠/ ٢٨ (إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا ليس عن فهمه فحص). وبما أن المسيح قد اعترف في الأناجيل بأنه غير ناسخ للتوراة، بناءً عليه فكل ما في التوراة عن الله وصفاته ملزم للنصارى تمام الإلزام.

(١) يؤمن النصارى بالاتحاد: وهو اتحاد اللاهوت (الجزء الإلهي) مع الناسوت (الجزء الإنساني) في المسيح عليه السلام، وسيأتي في الباب السابع تفصيل اختلاف النصارى في تصوير ذلك الاتحاد.

(٢) كهو: أي كمثله.

(٣) في ص (يوصف) ولعل الصواب ما أثبته.

عليه السجود الذي هو نهاية الاتضاع، ألا تنظر النصارى إلى قول المسيح: ولله وحده أعبد، فإنه أثبت لربه الوحدة والانفراد، ونفى عن خالقه سائر الأنداد، من الشريك والصاحبة والأولاد. فالمسيح يقول: لا ينبغي السجود إلا لله الواحد، والنصارى تقول: لا يسجد إلا لثلاثة آلهة. لقد تباعد ما بينهم وبين المسيح.

٥- دليل آخر على عبودية المسيح عليه السلام: قال متى: (سمع هيرودس ملك اليهود خبر يسوع فقال لغلمانه: أترى يوحنا قد قام من بين الأموات وهذه القوى تعمد معه. وكان هيرودس هذا قد قتل يوحنا المعمداني في السجن وأعطى رأسه لابنة هيروديا[١]، وكانت قد تمنت عليه ذلك يوم رقصت في مجلس مولود ولد له، فجاء التلاميذ وأخبروا يسوع بمصاب يوحنا، فجزع يسوع وخرج من وقته من الموضع الذي كان به منفردا)[٢].

قلت: اشتبه أمر المسيح على الناس، والرب لا يقع التشابه بينه وبين خلقه، وإنما شبهه الناس بيوحنا لاشتراكهما في أعلام النبوة، وأخبر التلاميذ المسيح بالقصة قبل أن يعلم بها، والرب تعالى / يجب أن يكون عالما بجميع[١/١٨/] المعلومات محيط بما تحت تخوم الأرضين إلى أعلى السماوات، ﴿**ألا يعلم من خلق**﴾[٣].

وخرج المسيح عقب هذه الأخبار مؤثرا للإستار معملا مطايا الحذار من الأشرار، ومن دأب البشر عند توقع الضرر الأخذ بالحذر.

---

(١) يقال إن اسمها سالومة ابنة هيروديا والتي رقصت في حفلة عيد ميلاد هيرودس وطلبت رأس يوحنا المعمدان على طبق. (انظر قاموس ص ٤٤٧)

(٢) متى ١٤/ ١ - ١٣.

(٣) اقتباس من الآية الكريمة ﴿**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**﴾ سورة تبارك: ١٤.

وقد اتفق مثل هذا الابتلاء لطائفة من الأولياء ولم يجدَّ بهم الهلع بزمامه ولا أنزلهم عن غارب التوكل سنامه، قال بعض السلف: نَفِرُّ من قدر الله إلى قدر الله[1].

اعلم أن يسوع[2] هوعكس عيسى، وكأنه (يَسُع) أشبعت الضمة قليلا فصارت واوا، وكذلك يشوع في التوراة هو يوشع[3].

فأما المعمداني[4] فهو يحيى بن زكريا - وهو نبي ابن نبي - ولد بالبشرى من الله، وهو أكبر في السن من المسيح بستة أشهر أو نحوها، وقد تولى التعميد

(١) هذه مقالة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عندما خرج إلى الشام فأخبره أمراء الأجناد بأن الوباء وقع بالشام فاستشار الصحابة في دخول الشام أو الرجوع عنها فأشار عليه مشيخة قريش من مهاجرة الفتح بأن يرجع بالناس ولا يقدمهم على الوباء، فأذن عمربالناس: إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه. قال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين أفرارا من قدر الله؟
قال: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفر من قدر الله عز وجل إلى قدر الله.. ثم جاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبا في بعض حاجته فقال: إن عندي من هذا علما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه) قال: فحمد الله عز وجل ثم انصرف. أخرجه البخار ي في كتاب الطب باب ٣٠ «فتح الباري ١٠ / ١٧٩» ومسلم ٤/ ١٧٤٠، ١٧٤١ في سياق طويل عن ابن عباس - رضي الله عنهما -.

(٢) نقله أيضا نجم الدين الطوفي في كتابه (الانتصارات الإسلامية ص ٧٧) وفي الصحاح للجوهري ٢٪٩٥٥ : عيسى اسم عبراني أو سرياني، والجمع العيسون، والنسبة: عيسى وعيسوى.
وجاء في قاموس الكتاب ص ١٠٦٥ : أن (يسوع) الصيغة العربية للاسم العبري (يوشع) ومعناه (يهوه مخلص، الله مخلص)، وقد سمي بهذا الاسم المسيح حسب قول الملاك ليوسف (متى ١/ ٢١) ومريم (لوقا / ١/ ٣١). أ. هـ.

(٣) هو يوشع بن نون عليه السلام، والاسمان يشوع ويسوع شبيهان وقد تقدمت ترجمته، انظر ص: ١١٩.

(٤) يحيى بن زكريا عليهما السلام: ورد ذكرهما في آيات متعددة في القرآن الكريم (انظر سيرتهما في قصص الأنبياء لابن كثير ص ٤٦٦ - ٤٧٧ ولعبد الوهاب النجار ص ٣٦٨ - ٣٦٩، والنبوة والأنبياء للصابوني ص ٣٢٦ - ٣٣٦).
ويذكر عنه قاموس الكتاب ص ١١٠٦ - ١١٠٨ ما ملخصه: بأنه كان ناسكا زاهدا يدعو الناس إلى التوبة ويعمدهم بعدها في نهر الأردن وذلك سبب تسميته (يوحنا المعمداني) وقد أمر هيردوس بقتله في حوالي سنة ٢٨ م ودفنه تلاميذه في سبطيا عاصمة السامرة بجانب قبر اليشع وعوبديا. اهـ. (بتصرف).

قبل المسيح وعمد المسيح فيمن عمده من الناس، والتعميد[1] هو غمس التائب في الماء يشيرون بذلك إلى الانغماس في الطاعة والتجرد عن المخالفة كما ورد شرع الإسلام بتطهير الكافر حين يسلم.

فأما هيرودس[2] فهو أحد الأربعة / الذين كان يدور عليهم أمر الشام من(١/١٨/ب جهة قيصر وكان قد رام نكاح ابنة أخيه وقيل ابنة زوجته فحال بينه يوحنا المعمداني وبين ما أراد من ذلك فاعتقله هيردوس ثم قتله بالتماس أم الصبية إذ رأت أنه زاغم[3] مقصودها، فذكر أن دم يوحنا هذا لم يغض[4] مذ وقع على الأرض حتى حرك الله داعيه بعض ملوك بابل، قال أصحابنا: يقال لهذا الملك حردوش البابلي فسار إلى اليهود يجر الشوك والشجر فقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم، وحرق قراهم وعضَّد[5] شجرهم، وأجلاهم عن البيت المقدس،

---

(١) ورد في قاموس الكتاب ص ٦٣٧: بأن اليهود استعملوا عادة التعميد، وبأن تعميد يوحنا كانت تسمى (معمودية التوبة لمغفرة الخطايا) وفي النصرانية جعل التعميد بالماء باسم الثالوث الأقدس علامة على التطهير من الخطيئة والنجاسة وعلى الانتساب رسميا إلى كنيسة المسيح، وقد جعل التعميد عوضا عن الختان الذي كان مفروضا على بني إسرائيل، وقد اختلفت وجهات نظر النصارى حول قضيتين: نوع المعمودية، ومعمودية الصغار والكبار، اهـ. بتصرف. و تعتبر المعمودية من أسرار الكنيسة ووظائفها التي تختص بها. (ر: أيضا الكنز الجليل في تفسير الإنجيل ١/ ٢٨، ٥٣٩).

(٢) هيرودس انتيباس: هو الابن الثاني لهيرودوس الكبير، عين حاكما على الجليل وقد غضب عليه الإمبراطور ونفاه الى ليون ثم إسبانيا وكان زمن ملكه من ٤ ق. م إلى ٣٩م (ر: قاموس ص ١٠١١)

(٣) في ش: راغم بالراء من المراغمة وهي المغاضبة، وبالزاي فهي المزاغمة أي التغضب في الكلام هذا على الغين المعجمة، أما على المهملة والزاي وهو الزاعم أي القول. (ر: الصحاح ٥/ ١٩٣٤، ١٩٤١، ١٩٤٢)

(٤) في ش لم ينقص ولم يضع.

(٥) في ش: عضد الشجر أي قطعة بالمعضده المقتلع. (ر: الصحاح ٢/ ٥٠٩).

وأعطى الله عهدا ألا يكف عنهم حتى يغيض ذلك الدم، فلم يغض حتى كاد يستأصل اليهود واستاق السبي معه إلى بابل[1].

وفيهم أنزل الله على نبيه محمد ﷺ **﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين﴾**[2]. فكانت المرة الأولى على يد بختنصر[3] بسبب قتلهم نبي الله أشعيا في زمن أرميا النبي عليه السلام، ثم رد الله إليهم ملكهم، وكانت المرة الثانية على يد خردوش[4] اليوناني بسبب قتلهم يحيى بن زكريا / وذكر أن بين الوقعتين أربع مائة واحدى وستون سنة[5]. (١٩/ب)

---

(١) بابل: مدينة قديمة في أواسط ما بين النهرين، تقع أنقاضها على الفرات قرب الحلة، على مسافة ٨٠كم جنوب شرقي بغداد، وقد أطلق اسم بلاد بابل على القسم الجنوبي من بلاد ما بين النهرين لتمييزه عن بلاد آشور (: المنجد في الأعلام ص١٠٦).

(٢) سورة الإسراء: ٤.

(٣) نبوخذ ناصر، نبوخذ نصر: اسم بابلي معناه «نبو حامي الحدود» ملك بابل (حكم ٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م) أخمد ثورة قام بها اليهود في أرض يهوذا وعندما أعادوا الكرة لم يخمد ثورتهم وحسب بل ساق ملكهم وكبراءهم أسرى إلى بابل وهو ما يعرف في تاريخ اليهودية بالأسر البابلي. (ر: قاموس ص ٩٥٤ - ٩٥٥، الموسوعة العربية ٢/ ١٨٢١).

(٤) ذكره الطبري في تاريخه ١/ ٥٩١ باسم (خردوس) وبأنه ملك من ملوك بابل وفي مروج الذهب ص ٦٣ للمسعودي: أنه (حردوس) بالحاء المهملة.
ويرى د. ف عبد الرحمن - أستاذ فقه اللغة - أن اسم (خردوس) إنما هو تحريف لاسم الحارث باللاتينية وهو (ARETAS) - نقلا عن مسودة كتاب الإعلام بأصول الأعلام - تأليف د. ف عبدالرحيم.
أما الحارث فهو ملك البتراء، الذي حارب هيرودس، وهيروديا انتيباس لزواجه بهيروذيا زوجة أخيه فيليس وقيل إنها ابنة أخيه، وقد كان هيرودس متزوجاً بابنة الحارث من قبل وقد طلقها لذلك، وهيروديا هي التي طلبت من هيرودس رأس يحيى عليه السلام لمعارضته هذا الزواج. (ر: قاموس ص ٢٨٢).

(٥) هذا ما نقله الإمام ابن جرير الطبري في تاريخه ١/ ٥٩٣ وفي تفسيره ١٥/ ٢٢-٢٧، ٤١، ٤٢ عن ابن حميد قال: ثنا سلمة قال: ثني ابن اسحاق قال: فذكره في سياق طويل جدا. في تفسير قوله تعالى **﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً﴾**.
والذي أراه - والله أعلى وأعلم - هو ترجيح ما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة وعن ابن عباس رضي الله عنهما. (ر: تفسير الدر المنثور للسيوطي ٤/ ١٦٣، ١٦٥) بأن المُسلَّط على بني إسرائيل لإفسادهم في المرة الأولى هم جالوت وجنوده الذين اضطهدوا وأذلوا بني إسرائيل يدل على ذلك قولهم - كما حكي القرآن الكريم عنهم حينما طلبوا من نبيهم أن يبعث الله لهم ملكا -

ينبغي أن يقال للنصارى: ما الذي دفعكم إلى عبادة مخلوق يفزع عند الضرار إلى التقية والحذار، ويلجأ عند توقع المكروه إلى الفرار والاستتار في الجدار؟! أين قولكم إنه حين تعمد جاءته روح الله؟! وأنتم رويتم لنا أن موسى قد قاتل الجبابرة وأباد الفراعنة، وطهر الأرض من العمالقة، وقتل عوج[1] مبارزة، ولم يفر من خصمه وإن عظم بأسه، ولا نكل عن فرعون وإن اشتدت شوكته، وقد كان يدخل على فرعون فينغص عليه سلطانه،

==

﴿وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا﴾ البقرة ٢٤٦، ثم بعث الله طالوت ملكا لهم وقتل داود عليه السلام جالوت، ورجع إلى بني إسرائيل ملكهم، ثم لما فسدوا في المرة الثانية وقتلوا نبيهم أشعيا، بعث الله عليهم بختنصر فقتلهم وسبى نساءهم وذراريهم وهدم الهيكل المعروف بـ(هيكل سليمان)، وهذا التدمير البابلي هو ما يعرف في تاريخهم بـ(السبي البابلي) حيث أجلاهم بختنصر عن بيت المقدس وأخذهم سبيا إلى بابل.

وعندما رجع بعض بني إسرائيل مرة ثانية إلى بيت المقدس في ظل حكم الفرس وأفسدوا بقتلهم زكريا وابنه يحيى، ومحاولة قتل عيسى عليهم السلام سلط الله عليهم الرومان بقيادة (تيطس) سنة ٧٠ م ثم بقيادة (أدريانوي) سنة ١٣٥ م فقتلهم وشردهم في جميع أنحاء البلاد المجاورة، وهكذا كلما عاد اليهود للفساد والإفساد في الأرض تكرر تسليط الله عليهم من يسومهم أشد العذاب تصديقا لقوله تعالى ﴿وإن عدتم عدنا﴾ وهو مستمر فيهم في كل زمان ومكان، حيث سلط الله عليهم المؤمنين فقتلوا وأجلوا بني قينقاع والنضير وقريظة عن المدينة وعن خيبر، كما سلط الله عليهم أيضا ملوك أوربا في العصور الوسطى و«هتلر» وغيره في العصر الحديث، ونرجو الله أن يسلطنا عليهم بتمسكنا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فنسترد أولى القبلتين ونطهر الأرض من رجسهم وفسادهم، كما سيسلط الله عليهم المهدى والمسيح عليه السلام والمؤمنين إذا ما خرج اليهود مع المسيح الدجال كما ذكر ذلك في أحاديث أشراط الساعة. وأما بالنسبة لتحديد الذين سلطهم الله على بني إسرائيل لفسادهم في الآية الكريمة فالأولى فيه ما قاله الإمام ابن كثير في تفسيره ٣/ ٢٨: وفيما قص الله علينا في كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله، ولم يحوجنا الله ورسوله إليها، وقد أخبر الله عنهم أنهم لما طغوا وبغوا سلط الله عليهم عدوهم فاستباح بيضتهم وسلك خلال بيوتهم، وأذلهم وقهرهم جزاءً وفاقاً، وما ربك بظلام للعبيد، فإنهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقا من الأنبياء و العلماء. اهـ.

(١) عوج: ملك الأموريين في باشان، وكان جبار القامة شديد البأس، وقد انتصر عليه موسى في حربه معه واحتل مملكته (ر: سفر التثنية ٣/ ١ - ١١، قاموس ص ٦٤٦).

ويُرْغم مجاهرةً شيطانه، ويحقر عند أهل مملكته شأنه، ثم جَرَّعه أليم اليَمِّ، وأباد جنوده في اللج الخضم، أفكانت الروح التي مع موسى أقوى من الروح التي أدعيتموها للمسيح؟! فما نرى موسى إلا أحق من المسيح بالربوبية إذ كان لم يخف والمسيح قد خاف، وكذلك يوشع وداود قد قهرا الصناديد، والمسيح قلتم إنه قتله اليهود.

٦- دليل آخر على عبودية المسيح: قال فولس الرسول في الرسالة الأولى[١]: (وأنا أحب يا إخوتي/ أن تعلموا أن رأس المرأة الرجل، وأن رأس كل رجل ١٩/ب المسيح، وأن رأس المسيح الله).

فهذا فولس قد نطق بأن المسيح مرؤوس وأن الله رئيس عليه، وذلك منه رَدٌّ على النصارى وإفساد لأمانتهم وشريعتهم.

٧- دليل آخر: قال متى: (أصعد يسوع تلاميذه سفينة وصعد هو إلى الجبل يصلي، فلما كان في الهجعة الرابعة من الليل جاء ماشيا على الماء طالبا السفينة فخاف التلاميذ وتصارخوا فقال يسوع: لا بأس عليكم. فقال بطرس له: يا رب إن كنت أنت هو فادعني آتيك على الماء فقال: تعال. فنزل بطرس يمشي على الماء فاشتد الريح فكاد أن يغرق فصاح: يا رب نجني. فمد يسوع يده وأخذه، وقال له: يا قليل الأمانة لم شككت. ثم صعد يسوع فسجدوا له)[٢].

قلت: هذا الفصل معرب عن تعبد المسيح وتبتله وتهجده لمولاه وتذلله، وحركته في الجهات وتنقله وصعوده قنن الجبال وتوقله[٣]، وهذه كلها أفعال دالة على حدثه.

---

(١) الرسالة الأولى من رسائل بولس إلى أهل كورنثوس ١١/ ٢، ٣.

(٢) متى ١٤/ ٢٢ - ٣٢.

(٣) في ش: وَقَل الجبل توقله: علاه وصعده.

فأما مشيه على الماء فليس فيه مستروح في دعـوى ربوبيته فغايته أن التحق في
١/ ٢٠/أ) / ذلك بموسى وإلياس واليسع صلوات الله عليهم .

والتوراة (تنطق أن مـوسى ضرب البحر فانفرق طـرقا وفرقا ، فكـان كل فِرْقٍ لفـريق مـن بني إسرائيل ، حتى عبره ستمائة ألف رجل من بنـي إسرائيل سـوى النسـاء والصبيان وبهيم الحيـوان)(١)، وهـذا أعجب من مشي عيسى وصاحبـه على الماء إذ السفن تساويهما في ذلك ، فلـو كان عيسى ربـا بذلك لكـان موسى أولى، لما ظهر من عظيم فعله وجسيم نبله .

وقد جـاء في سفر الملـوك(٢) من كتبهم(أن إلياس (٣) عليه السلام انتهى الى الأردن ومعه صـاحبه اليسع فنـزع إلياس عمامتـه وضرب بها الأردن فيبس له الماء وناول عمامته اليسع (٤) صاحبه فلما رجع الآخـر ضرب بها الماء فيبس أيضا حتى

---

(١) سفر التكوين الإصحاح الرابع عشر والخامس عشر.

(٢) سفر الملوك : من أسفـار العهد القديم، والتي تسمى بالأسفار التاريخيـة، ويتكون من سفرين هما : سفر الملوك الأول وعدد إصحـاحاته(٢٢)، وسفر الملوك الثاني وعدد إصحاحـاته (٢٥) إصحاح ، والمقصود بالملوك هم الذين تولوا حكم بني إسرائيل عن الملك بعد عهد القضاة .
وموضـوع سفر الملـوك هو الحديث عن ملك سليمان عليه السـلام وبنائه الهيكل، ثم انقسـام مملكته بعد وفاتـه إلى مملكتين شمالية وجنوبية، وحـروب المملكتين فيما بينهما، وينتهي سفر الملوك المملكتين وحريق الهيكل سنة ٥٨٧ ق . م وسبي اليهود إلى بابل .
ومما ننكـره على اليهود والنصـارى - ونستغربه - هـو تقديسهم لهذين السفريـن مع تصريحهم بأنه لا يعرف مـؤلفها، وبأنه مجهول يـروي قصصا قديمة سـابقة على عصره . (ر: مقدمة الكتـاب المقدس طبعة ١٩٧١ م، قاموس ص ٩٢٠، رسالة في اللاهوت ص ٢٧٥، ٢٧٦ سبينوزا) .

(٣)إليـاس عليه السـلام : ورد ذكره في القـرآن الكريـم بموضعين سـورة الأنعام ٨٥، وسـورة الصافـات ١٢٣- ١٣٢ . (ر: سيرته في تاريخ الطبري ١/ ٣٢٥، قصـص الأنبياء لابن كثير ص ٤٠٠، النبوة والأنبياء للصـابوني ص ٣١٨) . أما مصـادر أهل الكتاب فتذكـر عنه : بأنه إيليـا التشبي، وإيليا : اسم عبري معناه (الاهي يهوه) والصيغة اليونانية لهذا الاسم هي إلياس وتستعمل أحيانا في العربية، وقـد عاش في المملكـة الشمالية حيث حـارب إيزابـل زوجة الملك أخـاب التي ساقت زوجهـا وبني إسرائيل إلى عبـادة العجل، وقد أيـده الله بمعجـزات كثيرة وفي نهايـة أيامـه ذهب إلى نهر الأردن مع تلميذه اليسع، ثم جـاءت مركبـة وفرسـان نارية حملت إيليـا إلى السماء . (ر: سيرته في سفـر الملوك الأول والثاني، وقاموس ص ١٤٤ - ١٤٥) .

(٤) اليسع عليه السلام : ورد ذكره في موضعين بالقرآن الكريم سورة الأنعام (٨٦) وسورة ص (٤٨)، =

مشى عليه راجعا)[1]. فلم يكن واحد منهما رباً بذلك، وقد خاف بطرس[2] صاحب المسيح الغرق، ولم يخف منه اليسع، وقوة الصاحب تدل على قوة حال المصحوب.

مناقشة على قول بطرس (يا رب إن كنت أنت هو): اعلم أن هذا من الكلام الخلف وذلك إن بطرس إن عرف أنه / المسيح، فكيف يقول: إن كنت أنت هو؟ وإن لم يكن عرفه، فكيف يقول له يا رب؟! (١/ ٢٠/ب

٨- دليل آخر على عبودية المسيح: قال متى: (قال رجل للمسيح: يا معلم صالح، فقال له: لا تقل لي صالحاً، لا صالحَ إلا الله الواحد)[3]

قلت: أضاف المسيح لربه الوحدة، واعترف له بالألوهية وحده، وفي ذلك رد على النصارى في دعواهم التثليث وعبادة المسيح إذ نفى الصلاحية عن نفسه وأثبتها لله وحده، ولو كان الأمر في ذلك على ما يعتقده النصارى لبيَّنَه للرجل ولقال له: لا صالح إلا الآب وأنا وروح القدس، ولم يؤخر البيان عن وقت الحاجة.

وفي قول المسيح عليه السلام (لا صالح إلا الله الواحد) تكذيب للنصارى فيما يقرؤونه في صلواتهم إذ يقرؤون في بعض فرائضهم: الإله الصالح الطويل

(ر: سيرته في تاريخ الطبري ١/ ٣٢٧، وقصص الأنبياء ص٤٠٨، والنبوة للصابوني ص ٣٢١) ويذكر عنه قاموس ص ١١١ ما ملخصه: أن اسمه عبراني معناه (الله خلاص) وهو خليفة إيليا في النبوة، ويسجل سفر الملوك الثاني معجزات كثيرة قام بها اليشع حتى بعد موته.

(١) سفر الملوك الثاني ٢/ ١-٨.

(٢) بطرس: رئيس الحواريين واسمه الأصلي (سمعان ابن لوقا) ومهنته صيد الأسماك، وقد سماه المسيح (كيفا) ومعناها صخرة يقابلها في العربية (صفا) فسمي بشمعون الصفا في المصادر العربية، وقد وقف شمعون جهوده على التبشير بالمسيحية إلى أن قبض عليه في روما وصلب منكسا بناء على طلبه سنة ٦٧م في زمن الإمبراطور نيرون، وتنسب إليه رسالتان من الرسائل السبع التي يسمونها الرسائل الكاثوليكية. (ر: ترجمته في الأناجيل الأربعة، وسفر أعمال الرسل والإصحاحات (١، ٢، ٤، ٥، ١٥)، قاموس ص ١٧٤ - ١٧٨).

(٣) متى: ١٩/ ١٦، ١٧.

الروح الداعي الكل إلى الخلاص. ويقرؤون فيها: ياربنا وإلهنا يسوع المسيح لا تضيع من خلقت بيديك، لا ويقرؤون في شريعة إيمانهم التي لا يتم لهم قربان إلا بقراءتها (نؤمن بالرب الواحد يسوع المسيح الذي بيده أتقنت العوالم، وخلق كل شيء) وهذا / كله مخالف لقول المسيح عليه السلام (لا صالح إلا الله(١/ ٢١/ أ) وحده) وإذا كان هذا قول المسيح فقد ثبت أنه ليس هو الله ولا صفة من صفاته، وإذا ثبت أنه غيره ثبت أنه عبده؛ لأن ماسواه فهو عبده وخلقه، وتبين فساد الأمانة التي لهم وجهل من ألفها بدين المسيح وشريعته.

٩- دليل آخر على عبودية المسيح: قال متى: (قال يسوع: من أراد أن يكون منكم كبيرا فليكن لكم خادماً، ومن أراد أن يكون أولا فليكن آخرا إن ابن الإنسان لم يأت ليخدم، بل ليخدم ويبذل نفسه عن كثير)(١).

قلت: هذا دأب المتقين وعباد الله المشفقين، قام عليه السلام بوصفه الاتضاع، ولزم مناهج إخوانه من الأنبياء في رعاية الأتباع، وصرح بأنه إنما بعث خادما والرب يجب أن يكون مخدوما، وأنه باذل نفسه ويتعالى القديم أن يكون عديما.

١٠- دليل آخر على عبودية المسيح: قال متى: (مر يسوع بشجرة تين وقد جاع فقصدها فلم يجد فيها سوى الورق فقال: لا تخرج منك ثمرة إلى الأبد فيبست الشجرة لوقتها فتعجب التلاميذ وقالوا: كيف يبست؟ فقال: الحق أقول لكم إنه لو كان / لكم إيمان بغير شك وقلتم للجبال: تعال واسقط في(١/ ٢١/ ب البحر لفعل وكان كل ما سألتموه تنالوه)(٢).

---

(١) متى: ٢٠/ ٢٦ - ٢٨.

(٢) متى: ٢١/ ١٨ - ٢٢.

قلت: أدركته عليه السلام عوارض البشر من الجوع والعطش وما أكثر ما يصفه الإنجيل بذلك، ولما سبق في علم الله تعالى ما سيدعى فيه من الربوبية والإلهية حفظ هذه المواضع من الإنجيل وحرسها عن التغيير والتبديل، لتكون وازعة ذوي الأحلام، عن عبادة رجل من الأنام، يفتقر إلى الشراب والطعام، فقل للنصارى: يا معشر من بخس حظه من المعقول، كيف خفي عن يسوع حال الشجرة وهو في زعمكم الذي غرسها ؟! أم كيف افتقر إلى تناول الثمرة وهو الذي كَوَّن بلسها[1]؟! ولم دعا عليها؟! ومن الذي دعاه حتى ساق الثوى[2] إليها؟

وأخبرونا من هو هذا الذي جاع؟ فإن زعمتم أنه الإله أكذبكم الإنجيل إذ يقول: (إن الله لا يأكل ولا يشرب). وأكذبكم داود في المزامير إذ يقول: (إن إله إسرائيل لا يأكل لحوم العجاجيل ولا يشرب دماء أولاد الغنم)[3].

فإن قلتم: إن الناسوت هو الذي جاع، أبطلتم الاتحاد، إذ الاتحاد عندكم صيَّر / الكثرة قِلة وجعل الاثنين واحدا، وأنتم زعمتم أن فائدة الاتحاد تشريف / ٢٢أ) الطبيعة الناسوتية لا انحطاط الطبيعة اللاهوتية.

فإذا قلتم: إن طبيعة الناسوت باقية على حكمها، لم يحصل التشريف الذي ذكرتم، فما نرى طبيعة اللاهوت أكسب الناسوت خيرا.

وأخبرونا أليس مَتَّى هذا يقول إن المسيح هو الذي جاع وهو الذي تردد مع الشيطان في سخرته وواصل الصيام بسببه؟، والمسيح هو عبارة عن الطبيعتين

---

(١) البلس: من لاخير عنده، أو عنده إبلاس وشر، وثمر كالتين، والتين نفسه. (ر: القاموس المحيط ص ٦٨٧).

(٢) ثَوَى. تَثْوِيَةً: مات (انظر القاموس ص١٦٣٧).

(٣) مزمور ٥٠/ ١٣.

اللاهـوتية والنـاسوتيـة جميعا، إذ طبيعـة الإنسان على تجردهـا لا تسمى مسيحا عندكم، وإذا كـان هذا هكـذا فقد لـزمكم القول بجـوع الإله وعطشـه ودخول الآفات عليه، وإذا كـان ذلك غير سائغ فالمسيح إذاً عبد مربـوب ومخلوق مألوه يتأذى بأسبـاب الأذى ويفتقر إلى تنـاول الغذاء. فأمـا جفاف الشجـرة بدعـوته فليس في ذلك معتصم في دعوى ربوبيتـه ولو جاز أن يدعى في المسيح الـربوبية بهذه القضيـة لجاز ذلك لإبـراهيم ومـوسى وإليـاس ودانيـال وخلق كثير / من(١/ ٢٢/ ب أصفياء الله، فقد أجيبت لهم دعوات، وأمدهم الله من الملائكة بربوات.

١١- دليل آخـر على عبـوديـة المسيح: قـال متى: (اجتمع الفـريسيـون[١] والهيروديسيون [٢] ودسـوا على يسوع رجـلا ليصطـادوه[٣] بكلمـة، فقال لـه الرجل: يا معلم، قد علمنـا أنك محق، وأن طريق، الله بالحق تعلم، وأنك لا تبـالي بأحـد ولا تعمل لـوجه إنسـان، فقل لنـا هل نعطي الجزيـة لقيصر أم لا؟ فعلم يسوع سرهم وخاف شرهم، فقال: يـا مراؤون إنما جئتم لتجربوني [٤] أدوا ما لقيصر لقيصر وما لله ـ لله)[٥].

قلت: هذه من المسيح عليه السلام حيدة [٦] عن الجواب وهي مؤذنة بالتقية

---

(١) الفريسيـون: كلمة آراميـة ومعناهـا (المنعزلـون)، ويقلبون أنفسهم بلقب (حسيـديم) أي الأتقياء، وكذلك (صيريم) أي الـزملاء، وهم من أبـرز الفئات اليهـودية وأضيقها رأيـا وتعليما وأشدهـا عداء للمسيح وأتباعه، ومن أبـرز معتقداتهم: إيمانهم بأسفار العهد القديم وبـالتلمود، وإيمانهم بالبعث الـدنيوي (ر: الكنـز الجليل في تفسير الإنجيل ١/ ٢٨، انظـر قـاموس الكتاب ص ٦٧٤، الفكـر الديني اليهودي - حسن ظاظا ص ٢١٠).

(٢) هيرودسيون: هم جماعة ليسوا طائفة دينية ولا حـزبا سياسيا، بل مجرد أتباع هيرودس الكبير وخلفائه في فلسطين وكان لهم نفوذ واسع (ر: قاموس ص١٠١٢).

(٣) في ص (ليصطادونه) والصواب ما اثبته.

(٤) في ص (لتجربونني) والصواب ما أثبته.

(٥) متى ٢٢/ ١٥ - ٢١.

(٦) في ش: الحيدة: الميل للضرورة.

القاضيـة بضعف البشرية، والحيدة تـوجد كثيراً في كلام الأنبيـاء عليهم السلام يستعملونها للضرورة الحاضرة.

وأنا استحسـن قول سيـدنا محمـد رسول اللـه ﷺ «وقد قـال له العبـاس: يا رسول اللـه، إن أبا طالب كـان بك باراً أترجـو الله له؟ فقال عليـه السلام: كل الخير أرجوه من ربي»(١).

وقولـه (وقد سألـه رجل: يا رسـول الله، متى الساعـة؟ فقال: مـا أعددت لها؟، قال: حب الله ورسوله، فقال: / أنت مع من أحببت)(٢). (١/٢٣/أ)

ولما قال إبـراهيم للكافر: ربي الـذي يحيي ويميت. قال: يا إبـراهيم أنشدك

(١) أخرجه ابن سعد ١/ ١٢٤، والذهبي في تاريـخ الإسلام (السيرة النبوية) ص ٢٣٣ كلاهما من طريق حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن إسحاق بن عبد اللـه بن الحارث قال: قال العباس: . . فذكر. وذكره السيوطي في الخصائص ١/ ١٤٧ وعزاه لابن عساكر أيضا.
قلت: رجاله ثقات وهم من رجال الستة (ر: التقريب على الترتيب: ١/ ١٩٧، ١/ ١١٥، ١/ ٥٨). وأما قول النبي صلى اللـه عليه وسلم (كل الخير أرجوه من ربي) فهو بيّن في كمال ثقتـه صلى الله عليه وسلم بـربه عز وجـل، وفيه تطييب لنفس عمـه العباس رضي اللـه عنه، كما أن دفاع أبي طـالب في حياتـه عن النبي صلى الله عليه وسلم وحمايتـه عن أذى المشركين قد حصل له بـذلك خير في الآخرة كما ورد في الحديث الصحيح عن العبـاس بن عبد المطلب أنـه قـال: يا رسـول الله، هل نفعت أبـا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: نعم هو في ضحضاح من النار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار. أخرجه البخاري (ر: فتح الباري ٧/ ١٩٣ ح ٣٨٨٣) ومسلم ١/ ١٩٤) وعـــن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أهون النار عذابا أبوطالب منتعلا بنعلين يغلي منهما دماغه» أخرجه مسلم ١/ ١٩٥. والذي تصرح به هذه الأحاديث الصحيحـة وغيرها في أمـر أبي طالب هو معتقـدأهل السنة والجماعـة فيه بعكس الـرافضة التي تدعي مـوت أبي طالب على الإسلام وتستدل عليـه بأحاديث قال عنهـا الحافظ ابن حجر: بأن أسـانيدهـا واهية، وقـد أفـاض وأجاد الحافظ ابن حجـر في الإصابـة ٧/ ١١٢ - ١١٦ في ترجمة أبي طالب في الرد على شبه الرافضة في دعوى إسلام أبي طالب.

(٢) أخـرجـه البخـاري في كتـاب الأدب بـاب ٩٦ (ر: فتح البـاري ١٠/ ٥٥٧)، ومسلم ٣/ ٢٠٣٢، ٢٠٣٣ عن أنس رضي الله عنه.

الله أأنت رأيته يفعل ذلك؟ ، ﴿**قال إبراهيم : فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب فبهت الذي كفر**﴾[1] .

واعتبر هذا الفصل الـذي نقله مَتَّى تجده من كلام الـراوي ليس للمسيح منه إلا القليل ، وهـذا حال أكثـر الإنجيل ، والإنجيل الحق هو المأخـوذ عن المسيح عليه السلام لا عن غيره .

وما أديص[2] قول هذا الراوي [ليصطادوه[3]] بكلمة ! ! هذا يعتبر سلفهم فـمـا ظنك بخلفـهـم؟ ! أمـا كـان يسـتطيع أن يجـعل مكان [ليـصطادوه[4]] [ليمتحنوه ويختبروا ما عنده ويقفوا][5] على حقيقة مذهبه ، أين هذا من ألفاظ الكتاب العـزيز إذ يقـول : ﴿**وإن كادوا ليفتنـونك عن الذي أوحينـا إليك**﴾[6] ﴿**وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها . . .**﴾[7] .

١٢ - الدلالة على أن التلاميـذ لم يكونوا [يعتقدون][8] في المسيح ما ابتلى به النصارى ، قال نقلـة الإنجيل : لما كان في أول من عيد الفطير جـاء التلاميذ إلى يسوع وقالوا له : أين تريد أن تأكل الفصح؟ ، فقال : اذهبوا إلى فلان فقولوا : يقول لك المعلم : عندك آكل الفصلح مع تلاميذي[9] .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٨ .

(٢) دَاص يديص ديَصَانـاً : زاغ ، حاد ، (الدَّائص) الدص ج داصة ، والداصة : السفلـة لكثرة حلاكتهم (ر: القاموس المحيط ص ٨٠٠) .

(٣) ، (٤) في ص (ليصطادونه) والصواب ما أثبته .

(٥) في ص (ليمتحنونه ويختبرون ما عنده ويقفون) والصواب ما أثبته .

(٦) سورة الإسراء : ٧٣ .

(٧) سورة الإسراء : ٧٦ .

(٨) في ص : يعتقدوا ، والتصويب من المحقق .

(٩) متى ٢٦/ ١٧ ، ١٨ وذكره أيضا مرقس ١٤/ ١٢ - ١٥ ، ولوقا ٢٢/ ٧ - ١٢ .

/٢٣/ب) فَعَرْضُهم / عليه الطعام والعمل بسنة العيد المأخوذة عن موسى، واتباعه أحكام التوراة دليل ظاهر على أنهم لا يفرقون بينه وبين البشر في شيء سوى النبوة، إذ هم يروون عنه في الإنجيل أن الأنبياء كلهم [معلمون] للناس، وهم الذين يروون عنه أن الله لا يأكل ولا يشرب.

وقد شهد فولس الرسول في رسالته الأولى بأن المسيح عبدٌ لله وأن الله مالكه فقال وهو يُسهب في إفادة إخوانه: (إن كل شيء فهو لكم، وأنتم للمسيح والمسيح لله)(١). فأضافه إلى الله بلام التمليك كإضافة الأشياء لملاكها، وقوله (وأنتم) يريد أنتم له أتباع، وهو يبلغكم عن الله أوامره بطريق السفارة.

فإن قال النصارى: إنما أكل وشرب بناسوته، قلنا: ذلك باطل على رأي اليعقوبية(٢) القائلين أن الاتحاد قد أصار طبيعتي المسيح طبيعة واحدة، فإنه لم يبق ناسوت متميز عن لاهوت حتى يضاف إليه الأكل والشرب، وهو باطل على قول من جعل المسيح درعاً للاهوت أو مسكناً له(٣). إذ لو تجرد اللاهوت عن ناسوته حال ملابسة هذه النقائص لبطلت ألوهيته وخرج عن كونه مسيحا /٢٤/أ/ فإنه لم تثبت له هذه التسمية إلا بعد الاتحاد في زعمهم.

فقد أقام يسوع بينهم ثلاثين سنة لا يسمى مسيحا إنما يعرف بيسوع بن يوسف، فمن أضاف الأكل والشرب إلى ناسوته وحده فقد جعله آكلا شاربا ببعضه، ومن جوَّز قبول آلهة للتنصيف، فقد أبان عن عقل سخيف وعقل ضعيف. ألم تسمعوا إلى قول المسيح (يقول لك المعلم) سمى نفسه معلما لهم؟! وقال لهم في موضع آخر (ليس لكم معلم سوى المسيح)(٤). وقد قال في

(١) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ٣/ ٢٢، ٢٣.
(٢) فرقة من فرق النصارى سيأتي الحديث عنها.
(٣) هذا القول على مذهب النسطورية وهي من فرق النصارى الكبيرة وسيأتي الحديث عنها.
(٤) متى ٢٣/ ٨، ١٠.

الإنجيل غير مرة (إن الأنبياء كلهم [معلمون][1] لدواب الله)[2].

فكيف صرتم تُضْربون عما في الإنجيل من دلائل نبوته وتتعلقون بأدنى خيال في محاولة ربوبيته؟!

فإن أشكل عليكم لفظ الإنجيل - وليس بمشكل - فارجعوا القهقرى إلى التوراة كتاب موسى والأنبياء من بعده، فهل تجدون فيها ما تنتحلونه من عبادة رجل من بني آدم ؟! وإنا نجد غير ذلك في التوراة، وقد حذرت من الشرك بالله ومجانبة توحيد الله حتى قالت: (متى سمعتم بذلك في بلد أو قرية فأهلكو جميع من في تلك القرية / والبلد بحد السلاح، ولا ترحموهم، الله (١/ ٢٤/ ربكم هو إله واحد غيور عظيم مرهوب فاتقوه وخافوه، واحفظوا سنته وأحكامه وأزيلوا الشر من بينكم)[3].

وكرر ذلك في أسفار التوراة مرة بعد أخرى، فالاعتماد في ذلك على التوراة المنقولة بلسان الإجماع عندكم، وذلك أولى من الاعتماد على كتاب، إنما نقله أربعة أنفس وفيهم اثنان ليسا من أصحاب المسيح بل من التابعين لهم، فلا جرم لمّا نُقل هذا الكتاب بلفظ الآحاد وقع فيه من الغلط ما ستقفون عليه إن شاء الله في الباب الرابع من هذا الكتاب، وحينئذ تتحققون أنه ليس هو الإنجيل المنزل من عند الله.

---

(١) في ص (معلمين) والصواب ما أثبته.

(٢) لم أجد في الأناجيل النص الذي ذكره المؤلف، ولكن ورد في إنجيل يوحنا ٦/ ٤٥، ما يؤدي نفس المعنى كالآتي (أنه مكتوب في الأنبياء ويكون الجميع متعلمين من الله)، ولعل الناسخ زاد كلمة (لدواب) في النص الذي أورده المؤلف.

(٣) خروج ٢٣/ ٢٣، ٢٤/ ١٢ - ١٦.

١٣ - شهادة المسيح على أهل زمانه بالشكِّ في شأنه قال متى (بينما التلاميذ يأكلون طعاما مع يسوع قال: كلكم تشكون فيَّ هذه الليلة؛ لأنه مكتوب أني أضرب الراعي فيفترق الغنم، فقال بطرس: لو شَكَّ جميعهم لم أشك أنا، فقال يسوع: الحق أقول لك إنك في هذه الليلة تنكرني قبل أن يصيح الديك)(١).

فقد شهد / عليهم المسيح بالشك فيه وأن خيارهم وهو بطرس خليفته (١/ ٢٥/أ) عليهم من بعده سينكره، وإذا وقع لهم الشك في المسيح في آخر أيامه ومنتهى مدته فقد تخرمت الثقة بأقوالهم، وإذا أنكره مثل بطرس ولم يعرفه بطل جزمهم بأنه قتل وصلب وصح قول(٢) ربنا تعالى: ﴿**وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتّباع الظن . . .**﴾ الآية(٣).

فهذا المسيح عليه السلام قد وافق محمدا عليهما السلام في أن القوم شاكون فيه، وذلك مبطل لدعوى القتل والصلب.

وقد صرح المسيح في هذا الفصل بحرف لو تأمله النصارى لما عدلوا عن اعتقاد نبوته إلى انتحال بنوته وهو قول المسيح (إنه مكتوب أني أضرب الراعي) سمى نفسه راعيا وهاديا داعيا، وهذا حال الأنبياء عليهم السلام فإنهم يطوقون أعباء السياسة، ويرفقون الأنام بأخلاق الحراسة.

فنحن نسأل النصارى، من هو الضارب؟ ومن هو المضروب؟

---

(١) متى ٢٦/ ٣١ - ٣٤.

(٢) قول المؤلف (وصح قول ربنا تعالى . . .) هو من باب الإلزام وإقامة الحجة على النصارى، وإلا فإن كل مسلم يعتقد بأن قول الله عزوجل هو الحق ووعده الصدق.

(٣) سورة النساء: ١٥٧.

فإن زعموا أن الضارب هـو الله، والمضروب هو الإنسان فقـد وافقوا شريعتنا وخالفوا/ شريعتهم إذ تقول: (إن المسيح إله لا إنسان). (١/ ٢٥/ ب)

وإن قالوا: الضارب هو الإنسان والمضروب هو اللـه، كان هذا قولا لا يقوله أحد من الحمقاء فضلا عن العقلاء.

فإن عـادوا وقالـوا المضروب هـو المسيح أعدنـا عليهم القـول المتقدم وقلنـا: المسيح عندكم ليس آدميا محضا ولا إنساناً صرفـا، بل هو مركب بالاتحاد من إله وإنسـان، فقد لـزمكم أن يكـون الإله مضروبـا أيضـا مع الإنسان، فإن رامـوا تخصيص الناسوت بالضرب لم يتهيأ لهم بعـد القول بالاتحاد، وإن راموا تصحيح الضرب وإضافته وسائر النقائض إلى الناسوت فقد أبطلوا الاتحاد، وهو المراد.

وإن قالـوا: المراد بالمضروب (الابن) وبـالضارب (الأب)، قلنـا لهم: فالأب والابن عندكم قديمان، فما الذي أصار أحدهما ضارباً والآخر مضروباً بأولى من العكس؟! وإذا كـان الابن عندكم عبـارة عن الحكمة الأزليـة، فما معنى ضرب الله كلمتـه؟ وإنما تضرب الأجسام، فأما صفات اللـه القديمة فلا تفـارق ذاته الكريمة ولا تقوم بغيره.

وما نرى لروح القدس في أكثر هذه الفصول ذِكْراً، فلا ضارب ولا مضروب / (١/ ٢٦/ أ) تعالى الله عن هذيانكم هذا علواً كبيراً.

١٤- صلاة المسيح وتعبـده واجتهاده في الطاعة وتهجده: قـال متى: (جاء المسيح مع تلاميـذه إلى قرية تـدعى جسمانية[1] فقال لهم: امكثوا هـاهنا حتى أصلي هناك. ثم أخـذ يحزن ويكتئب، وقال: إن نفسي حـزينة حتى الموت. ثم قال لبطـرس وابني زيدي: اسهروا معـي هذه الليلة. ثم خَـرَّ على وجهه يصلي

(١) ورد في النص (جثْسيماني): وهي كلمـة آراميـة معناهـا (معصرة الـزيت) ويقع شرق أورشليم، وهـو الآن مكـان مقدس عنـد النصارى؛ لأنـه مكان ألم المسيح وتسليمـه والقبض عليه فيما زعمـوا. (ر: قاموس ص ٢٤٩ بتخليص).

ويقول: يـا [أبتاه][1] إن كان يستطـاع فَلْتَعْبُر عني هذا الكأس، وليس كإرادتي لكن كإرادتك، ثم جـاء إلى تلاميذه فـوجدهم نيامـا، فقال لهم: مـا قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة، ثم مضى وصلى وقال: يا [أبتاه][2] إن لم تستطع أن تعبر عني هذا الكأس حتى أشربها فليكن مسَّرتك، وجـاء أيضا فوجدهم نيـاما فتركهم ومضى يصلي وأعاد كلامه الأول)[3].

قلت: انظـروا معـاشر الضـلال ودعـاة الضـلال، هـل تليق هـذه الخلال بصفات ذي الجلال؟!

لو لم يكـن في إنجيلكم سوى هـذا الفصل لكان قـائدا للعميان، سـائقا إلى غير دين النصرانية من الأديان، إذ كان ومـا شاكله من أوضح الأدلة على ضعف البشرية وعجز العبودية، / فسبحان من بخس النصارى عقولهم وأظلم سبلهم (٢٦/ب) وأعمى دليلهم، أين هذا مما روى (أن رسول الله ﷺ حين احتضر جعل يقول: الرفيق الأعلى)[4]! فأنبياء اللـه بل صلحاء الناس محاشون عن هـذا التردد حال الانتقال.

وهـذه التوراة تشهـد بـاحتضـار طائفـة من أوليـاء الله كـإبراهيم وإسحـاق ويعقوب وهارون وموسى وغيرهم وهم راضون بلقـاء ربهم، فرحون بانقلابهم إلى [شَعُوبهم][5] فنحن نوَرِّك[6] على من نقل هذا التردد القبيح عن السيد المسيح.

---

(١) (٢) في ص (به)، والتصويب من النص.

(٣) متى ٢٦/ ٣٦ - ٤٤.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الصحابة باب (٥) (ر: فتح الباري ٧/ ٢٠، ١٠/ ١٢٧)، ومسلم ٤/ ١٨٩٤، والترمذي ٥/ ٤٩١، وأحمد ٦/ ٢٧٤ عن عائشة رضي الله عنها.

٥) في ص (شعهم) ومـا أثبتـه الموافق للسيـاق ومعنـاهـا: منيتهـم ومـوتهم، حيث اشتق من التفـريق. (شَعَب) اسم المنية (شعـوب) على وزن رسول. لأنها تفرق الخلائق وصـار علما عليها غير منصرف. (ر: المصباح المنير ص ٣١٣).

(٦) ورَّكه توريكا: أوجبه والذنب عليه حمله. (ر: القاموس المحيط ص ١٢٣٥).

وفي هذا الفصل حرف يقطع بانحرافه وتحريفه وهو قوله (إن لم تستطع أن تَعْبُر عني هذا الكأس) ثكلت لافظه أمه، لقد عجَّز قادراً، وسلك طريقا عن الجَدَد[1] نادرا، كيف يعجز القادر على الإطلاق، ويبخل من بيده مفاتيح أقفال الأرزاق؟!

فنحن نسأل النصارى، ما سبب هذا الحزن والاكتئاب؟! هل يعدو أن يكون إما جزعا من الموت أو أسفا على بقاء الناس على الكفر؟! وأَيُّ ذلك كان فقد تحقق عجزه فلا يصلح من هذا حاله للربوبية.

ثم نقول لهم: ألم تنقلوا عنه أنه إنما جاء ليُخلِّص الخلق ويفديهم/ بدمه (١/ ٢٧/أ) الكريم من الجحيم؟ وإذا كان الأمر على ما زعمتم فلا معنى لحزنه ولااكتئابه.

وفي الفصل أيضا ما يفسد عليهم ما لفقوه في شريعة إيمانهم، وهو قوله (وليس كإرادتي لكن كإرادتك) [فصرَّح][2] بأن إرادته مغايرة لإرادة الله تعالى، وإذا كانت إرادته غير إرادة الله بطل قولهم في الأمانة (المسيح إله حق من حق إله حق من جوهر أبيه).

فإن صححوا الأمانة أكذبوا الإنجيل، وإن صححوا الإنجيل أفسدوا الأمانة، إذ لو كان من جوهر الأب لكانت إرادته من جوهر إرادته، وهم يطلقون على الباري لفظ الجوهر تعالى الله عن كفرهم علوا كبيرا.

١٥- دليل آخر على عبودية المسيح: قال لوقا: (ورد أمر قيصر بتدوين الناس، فمضى يوسف ومريم وهي حامل بالمسيح ليكتتبا مع الناس فضربها

---

(١) في ش: أي عن الطرق.

(٢) في ص: (مسرح)، والتصويب من المحقق.

الطَّلَق فولـدته ولفته في الخرق وتركتـه في مذود حيث نزلا، فلما تمت له ثمانيـة أيام سموه يسـوعا ولما أكلموا أيام تطهيرهم أقـاموه ليقربوا عنـه زَوْجَيْ يمام أو فرخي حمام كَسُنَّة الناموس)[1].

٢٧/ب) قلت: هذه أحوال البشرية في تنقلها من / الاختتـان إلى الرضاع إلى الطفولية ويتعالى رب الأربـاب أن تحويه معالف الدواب، بل لا تحويـه الأقطار ولا يحده المقدار، ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون ولا السماوات[2].

قال لـوقا: (ولما أكملوا سُنَّتهم على مقتضـى ناموس الـرب رجعوا إلى الجليل إلى بلدهم الناصرة فكان الصبي ينشأ ويصفو بـالروح ويمتلئ بالحكمة، وكانت نعمة الله عليـه وأبواه يمضيان به في كل سنة إلى عيـد الفصح، ولما تمت له اثنتا عشرة سنـة مضـوا به الى أورشليـم كالعـادة، فلما رجعـوا تخلف عنهم يسـوع في أورشليم ولم يعلمـوا بـه وسـارا وهما يحسبـانـه مع الـرفقـة فلما لم يجداه رجعـا إلى أورشليم فوجداه في الهيكل بين العلماء والشيـوخ يباحثهم ويسمع منهم فأخذاه وانصرفا وكان يطيعهما)[3].

قلت: هذا الكـلام والذي قبلـه يشير إلى تقيد المسيح بشريعـة موسى عليهما السلام، وأنه وغيره شرع في الشرع، ورتبة التـابع دون رتبة المتبوع وفي ذلك دلالة
٢٨/أ) على عبـوديته، فأمـا اعتقـاد الربـوبيـة في صبي يتعلم أحكام / التـوراة ويسأل اليهود عما أشكل عليه منها فذلك عين الجنـون، وهذا لوقا أَحَدُ مُدَوِّني الإنجيل يشهد بأن المسيح عبـد من عباد الله، وأنه صبي من صبيـان بني آدم، وأنه كان يتزيد مواقع النعمة من الله شيئا فشيئا ويتعلم العلم ويسأل عما جهل ويستفيد

(١) لوقا ٢/ ١ - ٢٤ في سياق طويل وقد ذكره المؤلف مختصرا.

(٢) قال تعالى: ﴿**وما قدروا الله حـق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامـة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون**﴾ سورة الزمر ٦٧.

(٣) لوقا ٢/ ٣٩ - ٥١ في سياق طويل ذكره المؤلف مختصرا.

ممن هو أعلم منه، ويخبركم أن الله معطيه ومنعم عليه، فكيف لم ترضوا له ما وصفه به لـوقا من صفته؟! أأنتم أعلم بما يجب له من لوقا؟! ألم تسمعـوا إلى قوله (وأبـواه يمضيان بـه كل سنـة إلى أورشليم) ألا يعجبـوا من جلوسـه بين العلماء للاستفـادة والتعليم؟! فالنجاء النجاء من وبـال هذا المذهب الذميم، والـوحا الوحا [1] في حل عقد هذا التصميم.

١٦- دليل آخر على عبوديـة المسيح وضعفه وافتقاره الى خالقـه وتبرئه مـمّـا يدعيـه النصارى فيه: قال لـوقا: (قال رجل ليسـوع: اتبعك إلى حيث تمضي يا سيـد، فقال لـه يسوع: للثعـالب أجحار ولطيـور السماء أوكار، وابن الإنسـان فليس له موضع يسند رأسه)[2].

قلت: الـزهد شعـار الأنبيـاء ودثار المتقين ونعت الموقنين، يفـرغ القلب من الهمـوم / ويقشع عن الفكـر غيوم الغمـوم، ويعـرب عن قـوة الإيمان والوثـوق (١/٢٨/ بضمان الرحمن، اشتغل المسيح بالزهد والنسك وتفرغ لخدمة ربه فرفض الملك، ورضي فقره فسكـن القفر[3] وحقق صبره، فتـوسـد الحجر وافترش العفـر[4]، فكيف تعبـد النصـارى من لايحوي مسقط رأسـه فقـرا؟! وتـأمل من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا.

وإذ قد رووا عن الصادق المسيـح أنه ليس له موضع يسنـد رأسه، ورووا عنه أنه لا صـالح إلا الله وحـده، وحكوا عنـه أنه قـال: إن الله الإلـه الحق وحده، وأخبروا عنه أنـه صام وصلى وانقطع لعبادة ربه وتخلّى، فقـد أكذبوا الأمـانة التي

---

(١) الـوحا: السرعـة يمد ويقصر، ويقـال (الوحـا الوحـا) أي البدار البـدار. (ر: مختار الصحـاح ص ٧١٣).

(٢) لوقا ٩/ ٥٧، ٥٨.

(٣) القفر: مغازة لا نبات فيها ولا ماء والجمع (قفار). (ر: مختار الصحاح ص ٥٤٥).

(٤) العفر: التراب (المرجع السابق ص ٤٤١).

ألفهـا قدمـاؤهم إذ تقول: (إن المسيح إلـه حق وأنه خـالق كل شيء وأن بيديـه أتقنت العـوالم). وتعيَّن عليهـم العمل بمقتضى قـول المسيح وفتـواه تـلاميـذه الأبـرار، وشهادة الأنبيـاء الذين تقـدموه مثل مـوسى وداود، (فقد قـال المسيح ورفع وجهه إلى السماء: إلهي أنت الإله الحق الذي أرسلت يسوع المسيح)(١).

وقال موسى في التوراة: (لا إله إلا إلهنا إلـه إبراهيم و إسحاق ويعقوب الرب الأزلي الذي لم يزل)(٢).

١/٢٩/أ) وقـال داود في مزمـوره(٣): (إن اللـه أقسم / إن المسيح رجل كاهن يشبـه في عبادته وتقـواه ملكي صادق) الكاهن الذي كـان يخدم البيت المقدس على عهد إبراهيم(٤).

١٧- وقـال شمعـون الصفا رئيس الحواريين: (إن المسيح رجل أظهـره اللـه بـالأيـد والقـوة والمعجـزات)(٥)، وقـال المسيح: (إنـه لا يقـدر على عمل شيء

---

(١) يوحنا ١٧/ ١، ٣.

(٢) خروج ٣/ ١٥.

(٣) مزمور ١١٠/ ٤.

(٤) ملكي صادق: اسم سـامي معناه (ملك البر)، وتـزعم المصادر اليهـودية: بأنـه كان ملك أورشليم وكاهن الله العلي، وكان معـاصرا لإبراهيم عليه السلام الذي باركـه ملكي صادق، وأعطاه إبراهيم زكاة العشر. أما المصادر والنصرانية فتصفه بأنه فتصفه بأنه بلا أب ولا أم وبلا نسب، ولا بداءة أيام له ولا نهاية حيـاة بل هو مشبه بابن الله ويبقى كاهنـا الى الأبد. (ر: تكوين ١٤/ ١٨-٢٠، السنن القويم ١/ ٥٠، الرسالة إلى العبرانيين ٧/ ١-٤، قاموس ص ٩٢٢)

قلت: وهذا غلوٌ ممقوت من أهل الكتـاب في وصفهم لملكي صادق بهذه الصفات المستحيلة عليه، لأنه ليس هناك من هو بلا أب وبلا أم إلا آدم عليه السـلام، ولابد لكل مخلوق من أن تكون له بداية ونهاية. وأمـا قول المؤلف رحمه اللـه (بأن ملكي صادق كان يخدم البيت المقـدس) فمعناه بأنـه كان ملكا على أورشليم.

(٥) سفر أعمال الرسل ٢/ ٢٢.

ولايتفكر فيه حتى يكون الله هو الذي يعمله)[1]، وسئل عن القيامة فقال: (لا يعرفها إلا الله وحده)[2].

وهذه أقوال دالة وروايات متظاهرة متظافرة على أن المسيح عبد مربوب وأن له ربا يضرع إليه، ويعول في مصادره وموارده عليه لا إله غيره ولا رب سواه.

فهلموا معشر النصارى إلى عبادة ذي الجلال، وقدسوا القديم عن تشبيهه بالرجال، واستحيوا من ذوي الحجى أن تعبدوا إنسانا قد حملت به أمه كما تحمل النساء بالأجنة، وترددت عليه أطوار الخلق وتنقلت به الحال إلى أن ناهز الثلاثين من السنين، ينسب إلى أُبوَّة يوسف مرة وداود أخرى، يغتذي بالطعام ويتردد بين الأنام، ثم تعتوره عوارض الحيوان فيعافى ويكرب، ويحزن ويطرب، ويعيا فيركب، ويستريح ويتعب، ويجوع ويعطش / فيأكل ويشرب، ويستتر (١/ ٢٩/ ب) من عدوه ويطلب، ويقرن باللصوص كما زعمتم ويسحب، ويحمل صليبه فيقتل بقولكم ويصلب، ويدفن في المقابر فيبكى عليه ويندب، وقولوا بنا جميعا كما قال المسيح في الإنجيل (للرب إلهك اسجد وله وحده أعبد)[3] قصم بذلك ظهر الخبيث وفصم عرى أهل التثليث وأثبت لربه الوحدة، وسجد لله وحده، ولم يعبد إلهين اثنين، ولا ثالث ثلاثة، ولا رأى ادِّراع ولا أقسم بالذراع، ولا اعتقد اتحاد اللاهوت بالناسوت، ولا أقسم بصليب الصلبوت، ولا عظَّم الصور والصلبان، ولا نطق بقولكم (كُرْياليصان)[4] بل عبد الله،

---

(١) يوحنا ٥/ ٩، ٨/ ٢٨ بالمعنى.

(٢) مرقص ١٧/ ٣٢.

(٣) متى ٤/ ١٠.

(٤) كلمة (كرياليصون): اصطلاح يوناني معناه (يا رب ارحم)، يتلى في القداس وفي صلوات عديدة بصيغته اليونانية في الكنيستين الشرقية والغربية على السواء، وبهذه الكلمة يستفتحون بها صلواتهم وأدعيتهم. (ر: كتاب ترانيم ومدائح منتخبة للكنيسة القبطية، كتاب (قائمة المصطلحات الكنسية في العربية، ص٤٩، (باللغة الألمانية) جورج غراف، الموسوعة العربية ٢٪١٤٥٨).

ودعا إليه وعول فيما يأتيه ويدره عليه، قال الله تعالى في الإنجيل (هذا فتاى سماه عبدا وسميتموه ربا، وقال (هذا رسولي) سماه نبيا وجعلتموه أنتم الهاً، وقال المسيح: (لا أعمل بمشيئتي) وقلتم أنه خالق كل شيء حتى كأنكم قد تتابعتم على خلافه بدليل أو تبايعتم على رفضه برهن ثقيل، فاستدركوا الغلط واهجروا الهُجر واللغط وتعلقوا بذمام قول الإسلام ﴿**ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه / صديقة كانا يأكلان الطعام**﴾[1] (٣٠/أ) ولا تغلوا في دينكم بغير دليل، واعتقدوا عبودية المسيح كما نطق به الإنجيل.

١٨- دليل آخر على عبودية المسيح ومساواته البشر: قال مرقس في إنجيله (قال يسوع: إن نفسي حزينة حتى الموت، ثم خر على وجهه يصلي لله وقال: أيها الآب كل شيء بقدرتك، أخر عني هذا الكأس لكن كما تريد لا كما أريد أنا)[2]. فها هو سائل والله مسؤول، وأي عبودية تزيد على هذا.

١٩- دليل آخر عل عبوديته: قال يوحنا: (وقف يسوع على بئر من آبار [السامرة][3] فقالت له امرأة من نسل يعقوب: إن آبائنا سجدوا في هذا الجبل وأنتم تقولون أنه أورشليم؟! فقال لها يسوع: أنتم تسجدون لمن لا تعلمون ونحن نسجد لمن نعلم)[4].

قلت: هذا يوحنا التلميذ حبيب المسيح يشهد على المسيح أنه معترف برب لا تجزئه العبادة لغيره ولا تنبغي الربوبية لسواه سبحانه، ولو كان الأمر على ما

---

(١) سورة المائدة: ٧٥.

(٢) مرقس ١٤/ ٣٤ - ٣٦.

(٣) في ص (السمرة) والتصويب من النص، والسامرة: اسم عبراني معناه (مركز الحارس) وهي اسم المملكة الشمالية (مملكة إسرائيل) التي أقامتها الأسباط العشرة من بني إسرائيل، ويضم إقليم السامرة وسط فلسطين ويقع بين الجليل في الشمال واليهودية في الجنوب (ر: قاموس الكتاب ص ٤٤٨، ٤٤٩).

(٤) يوحنا ٤/ ١٩ - ٢٢.

يهتف به النصارى لأرشدها وقال: اضربي عن معتقد أسلافك الغواة واسجدي لي ولأبي وروح القدس فإني ثلث الإله، كلا ولكنه / أخبرها أنه عبد مذلل تحت (١/ ٢٠/ أ) رق العبودية وأنه يسجد لله مستحق الربوبية.

وأعلم أن المسيح قد كان يصلي إلى أورشليم[١] وهي البيت المقدس قبلة الأنبياء قبله، ولم يزل يتوجه إليها مدة مقامه إلى حين رفع فكان مما أحدث النصارى بعده الصلاة إلى جهة الشرق، وتركوا القبلة التي كان المسيح يتوجه إليها. فإذا عيب عليهم ذلك اعتذروا بأن صاحبهم صلب إلى تلك الجهة، قالوا: فتعين علينا التوجه إلى حيث صلب[٢].

فيقال لهم: أرأيتم لو صلب إلى جهة المغرب أو صلب منكساً إلى أسفل ماذا كنتم تصنعون؟ وإذ تركتم قبلة المسيح والأنبياء وحسن عندكم خلافه فهلا توجهتم إلى الناصرة [٣]التي هي بلد ربكم أو إلى مصر التي هرب إليها بزعمكم خوف القتل، وتعلقتم بشبهتين من الإنجيل إحداهما قوله: (أنه كتب أن يدعى المسيح ناصريا)[٤] والأخرى قوله (من مصر دعوت ابني)[٥].

---

(١) أورشليم: معناه (أساس السلام)، وكانت تسمى يبوس واريئيل، وأما بالعربية فتسمى بيت المقدس والقدس الشريف، والقدس. (ر: قاموس ص ١٢٩). وهي مدينة مقدسة منذ عصر إبراهيم عليه السلام، قال تعالى ﴿**ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين**﴾ سورة الأنبياء: ٧١، قال أبي بن كعب وقتادة وغيرهما: إنها أرض الشام (ر: تفسير ابن كثير ٣/ ١٩٤)

(٢) ذكر ذلك القاضي عبد الجبار المعتزلي في كتابه تثبيت دلائل النبوة ١/ ١٩٧، وابن القيم في هداية الحيارى، ص ٢٦٤.

(٣) الناصرة: اسم عبري ربما كان معناه (القضيب أو المحروسة) وهي مدينة في الجليل في شمال فلسطين إليها ينسب المسيح (يسوع الناصري) كما ورد في الأناجيل، فهي قرية أمه، وفيها نشأ المسيح في صغره، وإليها ينسب النصارى ودينهم النصرانية. (ر: قاموس ص ٩٤٦، المنجد في الأعلام ص٧٠٤).

(٤) متى ٢/ ٢٣.

(٥) متى ٢/ ١٥.

فكيف تـركتم هـاتين الجهتين ولكم فيهما مستمسك وتـوجهتم إلى جهـة ارتضاها اليهود الملاعين للتنكيل بإلهكم كما زعمتم؟!

ولـو كنتم ذوي نظر وعبر لكـانت هذه الجهـة حريـة عندكم بـالمقت / فإنها (١/ ٣١/أ) الجهة التي هلك فيها معبودكم وقبلت دم ربكم.

وأخبرونـا عن توجـه هذا المصلـوب إلى هـذه الجهة أكـان في ذلك طائعـا أو كارهـا؟! فإن كان كارهـا لم يكن لكم أن تصلوا إلى جهة لم يخترهـا صاحبكم ولم يـرضها وإنما حُمِل عليهـا مجبراً، وإن كـان قـد توجـه إليهـا طائعـا راضيـا، فَلِم [تلعنون][1] اليهود الـذين صلبـوه [وتكفرونهم][2] والذي فعلـوه به إعـانة لـه ومسـاهمة في حصول محبـوبه وقـرة عينه، ولاسيما أنهم نهجـوا لكم قبلة تصلـون إليها؟! فتحننـوا الآن على اليهود وتبركـوا بهم إذاً، إذ كانـوا قد فعلـوا ما هـو قرة عينكم وعين صاحبكم.

وكـذلك يهوذا الإسخريـوطي[3] الـذي ارتشى عليه وألقـاه في أيدي اليهـود حتى قتلوه وصلبـوه بزعمكم فصلُّوا عليه وتـرحموا وتبركوا باسمه وصَـوَّبُوا فعله، فإنه صـار وسيلة إلى خلاصكم، وإذ قلتم: إن أسـلافكم في دركات النيران ولا خلاص لهم من ذلك إلا بقتل ربكم، وإنما قتل وصلب بـدلالته وبركة سفـارته

---

(١) في ص (تلعنوا) والصواب ما أثبته.

(٢) في ص (وتكفروهم) والصواب ما أثبته.

(٣) يهوذا: اسم عبري معناه (حمد)، ولقب بالإسخـريوطي تمييزا له عن يهوذا آخـر، وكان أحد الحواريين الاثني عشر وأمينـا للصندوق، وبـرغم ذلك فقـد خان يهوذا المسيح ووشى بمكـانـه لليهود مقـابل ثلاثين مثقالا من الفضـة، ثم قيل: بأنه خنق نفسه شنقا ندما على خيـانته. (ر: متى إصحاح ٢٧، قامـوس الكتاب ص ١٠٨٩-١٠٩١)، وقـد ورد أن الله عاقبـه على خيانته فـألقى شبه المسيح على يهوذا فقبض الحراس عليه، ثم قتلوه صلبـا بدلا من المسيح الحقيقي الذي نجاه اللـه عز وجل ورفعه إليه. (ر: إنجيل برنابا إصحاح (٢١٥، ٢١٦).

وليس في النصارى - يرحمك الله / - من يُقِلُّ اللعن عن اليهود أو يقدر يسمع (١/ ٣١/ باسم الإسخريوطي، وهذه المؤاخذات واردة على الأصل الفاسد الذي أَصَّلوُه، فإن أَبَوْا إلا لعن اليهود ومقت يهوذا فليتطيَّروا بجهة المشرق لكونها عَمَّتْهم بالشر وسقتهم بالكأس المر، وإلا فكيف يذم اليهود وتمدح الجهة وكلاهما مشؤوم؟! وما أحسن لعن [إله][1] تقتله اليهود، [ورب][2] تغلبه إخوان القرود.

٢٠- دليل آخر على عبوديته وحدثه وأنه آدمي محض وإنسان صرف: اعلم أولاً أن تعاقب الأحوال من التغير والزوال والتفريغ والإشغال، والسكون والحركات والاختصاص بالمقادير والهيئات، هي الأدلة على حدث أجسام العالم.

ولا خلاف بين النصارى أن المسيح عليه السلام ولدته أمه في بيت لحم في أرض يهوذا ولفتة ووضعته في الخرق في معلف وأرضعته ثديها وأفرشته حجرها وتولت تأديبه ونشأ نشوء الآدميين، لم يتميز عنهم في حال من الأحوال من صغره إلى حين ابتداء الدعوة، قد عُرف طوله وقدره ولونه وكميته واعتذى بالطعام وانتقل من مكان الى مكان ونحن نعلم / أنه كان إذا نزل أورشليم فقد (١/ ٣٢/ فارق الناصرة، وإذا أقام بالناصرة فقد خلت منه أورشليم، وأنه ولد في دولة هيرودس ملك اليهودية، وأن مريم فرت به الى مصر خوفا من هيرودس ثم أعادته الى الشام حين هلك أعداؤه، وأنه عاش نيفا وثلاثين سنة يتعلم العلم ويقرأ التوراة ونبوات الأنبياء ويركب الحمير ويزجي[3] الأوقات من الأقوات باليسير الحقير ويلجأ إلى الله في حوائجه ومآربه. ويدعوه إذا أعوزته وجوه

---

(١) في ص: (إلهاً) وما أثبته الموافق لقواعد النحو.

(٢) في ص: (وربا) وما أثبته الموافق لقواعد النحو.

(٣) زَجَّى الشيء: دفعه برفق، يقال كيف تُزَجِّي الأيام؟ أي كيف تدافعها، وتَزَجَّى بكذا: اكتفى به. (ر: مختار الصحاح ص ٢٦٩).

مطالبه، ويفرح ويغتم ويلبس ويعتم، ويفر من السلطان ويناظر الشيطان. وإذا كان حال المسيح على ما وصفنا فقد ثبت أنه مخلوق ومحدث عبد، وأن الله إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب هو خالقه ومحدثه، فإن تحامق النصارى فزعموا أنه هو الله أو صفة من صفاته، أو أن الله ساكن فيه وحال في إهابه، فقد حكموا أن القديم الأزلي ولدته امرأة، وخرج من فرجها، ولفته في الخرق، وألقته في مذود ثور، وسقته ثديها وقومته بتأديبها، وهربت به من خوف من يقصده من الأعداء وعلمته وهذبته/ ، وأنه كان يتردد إلى اليهود، يتعلم منهم (٣٢/ب
وأن الله الأزلي كان له إلهاً يدعوه ويرجوه، وهذا كله لازم للنصارى على الأصل الذي أصلوه، وإذا كان ذلك محالا فقد ثبت بما قدمناه أن المسيح عبد من عباد الله بقوله وفتواه.